الشفاعة في نظام التشريع

آيت اللّه سيد كمال الحيدري

اهتم به: سيد جاسم الموسوي

بسم الله الرحمن الرحیم

كلمة المعهد

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين

إنّ الخلاف والاختلاف والتباين سمات رافقت المجتمعات البشريّة منذ وجودها على وجه الأرض، ولم تأتِ بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام وإنزال الكتب والرسالات إلّا للحدّ من هذه الخلافات بين الأُمم وبيان ما اختلفوا فيه، إلّا أنّه رغم ذلك فقد اختلف أصحاب الديانات والكتب السماويّة أنفسهم من بعد ما جاءهم العلم.[1]

ولم تكن الأُمّة الإسلاميّة خارجةً عن هذه السُنّة التاريخيّة؛ فكان الخلاف ينشب بين أبنائها بين الفينة والأُخرى.

وقد اقترنت تلك الخلافات في حُقبٍ من التاريخ الإسلامي بتبنّي البعض أفكاراً متطرّفةً وشاذّةً لا تعود على المسلمين بشيءٍ

---

(١) قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٩).

سوى تعميق الخلاف أكثر فأكثر، وتأجيج النزاعات المذهبيّة والطائفيّة وتشديدها بينهم.

و هناك بعض الفِرَق في أمّتنا الإسلاميّة جنّدوا كلَّ طاقاتهم لزرع الحقد والعداوة والكراهية في قلوب الأجيال عبر مختلف طرق التبليغ؛ ابتداءً بالخطب والمحاضرات، ونشر الكرّاسات والكتب والمجلّات، ثمّ مع مرور الزمان و تطوّر وسائل الإعلام قاموا أيضاً بتسخير وسائل الإعلام المسموعة و المرئية، ومواقع الإنترنيت، وغيرها. بل عمدوا إلى إدخال كتب العقائد الخلافيّة في المناهج الدراسيّة، وإنشاء المعاهد والجامعات لتربية أصحاب الفكر المتشدّد والمتطرّف، حتّى تخرّجت منها جماعةٌ مِن الكتّاب لم ترقب لأحدٍ ذمّةً ولم تراعِ حرمة؛ وقد اتّسمت كتاباتُهم بشكلٍ عامّ باللاموضوعيّة، والشدّة، والتهجّم السافر على الآخرين، وعدم الإنصاف، والابتعاد عن منهج البحث العلمي في المسائل الخلافيّة، ومن المعلوم أنّ أهمّ العناصر التي يجب الالتزام بها من قِبَل الباحث في الفكر العقائدي المقارَن، هي مراعاة الأمانة العلميّة في النقل والضبط والبيان، والورع، وأداء الحقّ واتّباعه، كما قال سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ**﴾ (الزمر: ١٨).

وينبغي النظر إلى المسائل الاتّفاقية بعين الاعتبار والأهمّية،

فـإنّ نقـاط الاشـتراك والالتقـاء في الأُصـول والفـروع لـدى المسلمين هي أكثر من نقاط الاختلاف والافتراق، وهذه الأُمـور المشتركة بمثابة القاعدة الثابتة التي ينطلق المـرء منهـا في المعرفـة الدينيّة الإسلاميّة.

كما لابدّ من الإنصـاف والتـزام الموضـوعيّة في التعامـل مـع المسائل الخلافيّة الموجودة بين أئمّة المذاهب الإسلاميّة، فالخلاف مسألةٌ طبيعيّة، وهو ميزة البحث الفكريّ، بل لا يخلو منـه حتّـى أصحاب المذهب الواحد؛ سواءً في الفقه أو الاعتقادات.

كما أنّ من الظلم والإجحاف الاعتمادَ على المصـادر الثانويـة وغير المعتمدة لدى الطرف الآخر فى بيان مذهبه أو الـردّ عليـه، أو الاحتجاج بالقضايا الخلافيّة غير المسلَّم بها عنده، بل لابدّ من الرجوع إلى أُمّهات المصادر المعتمدة لديه والاحتجاج عليه وفـق متبنّياته.

ويجدر بالباحث الإسلاميّ أن يكون هدفـه مـن وراء طـرح كلّ مسألةٍ علميّةٍ هو طلب الحـقّ والحقيقـة، لا أن يـرِد البحـث وهو محمّلٌ بالقَناعات والأحكام المسبَقة المسـلّمة لديـه مـن دون أن يكون له الاستعداد لرفـع اليـد عنهـا؛ قـال تعـالى: ﴿وَ إِنَّـا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (سبأ: ٢٤).

وقد بدأ معهد الحجّ والزياره مرحلةً جديدةً في باب الحـوار والسؤال والردّ علـى الشـبهات، متجنِّبـاً الإثـارات المذمومـة و

حريصاً على استثارة العقول المفكّرة والنفوس الطالبة للحقّ، لتنفتح على الحقائق التى تقدّمها مدرسة أهل البيت عليهم السلام الرساليّة للعالم أجمع.

ونحن في هذه الدراسات نتوخّى أن نسير على جادّة الصواب و الإنصاف، وعدم الخروج والانحراف عنها، كما نتوخّى اعتماد الأدلّة النقليّة المعتبرة والمستندة إلى الكتاب والسنّة والتي يقبلها جميع علماء المسلمين بالإضافة إلى الأدلّة العقليّة المحكمة. وهذا هو الحجر الأساس في البحث و الاستدلال في هذا المضمار، ولابدّ أن نشير إلى أنّ هذه المجموعة من البحوث قد أُعدّت فى لجنةٍ خاصّةٍ من مجموعة من الباحثين الأفاضل، ونحن إذ نتقدّم بالشكر الجزيل لكلّ هولاء ونقدّم هذه السلسلة القيّمة من الدراسات إلى القارئ الكريم، نرجو أن تضيء طريق الباحثين عن الحقائق، وأن تكون خطوةً في توحيد الأمّة الإسلاميّة.

إنه ولي التوفيق

معهد الحج والزيارة

قسم الكلام و المعارف

أهمية البحث وضرورته[1]

إنّ الشفاعة من العقائد الإسلامية الثابتة التي نطق بها القرآن الكريم في العديد من آياته المباركة، وتواترت فيها السُنّة النبوية المطهّرة وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام، واتّفقت عليها كلمة علماء المسلمين، وهي من الأصول الأساسية في العقيدة الإسلامية وإن اختلف البعض في تفاصيلها[2]، لكن مع ذلك لم تسلم هذه الحقيقة الناصعة من إثارات بعض المشككين، ولذا نرى من اللازم التصدي لهذه الإثارات وذلك للمكانة المتميزة لهذه العقيدة الحقة وما تحظى به من دور إيجابي في بناء عقيدة المسلم وترشيد سلوكه، حيث نسلّط الضوء على مفهوم الشفاعة والأمور المتعلقة بها مستندين في كل ذلك إلى آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة المرويّة عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله من

---

(١) هذا المقال مستوحى من كتاب (الشفاعة) لسماحة السيد العلامة كمال الحيدري (زيد عزه) بعد التهذيب والإضافة.

(٢) شرح صحيح مسلم، ج ٢ ص ٥٨؛ تفسير الرازي، ج ٣، ص٥٢؛ آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي، ج ١، ص ١٣٦.

طرق الفريقين، وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام وأقوال علماء المسلمين.

فوائد البحث وآثاره

يمكن اجمال فوائد البحث وآثاره ضمن النقاط التالية:

١ـ كثرة النصوص القرآنية والحديثية الدالة على الشفاعة هي سرّ اتفاق المسلمين على هذه العقيدة، لكن تغاير المناهج الفكرية في التعاطي مع هذه النصوص هو السبب وراء الخلاف في بعض جوانبها.

٢ـ السلفية هي الجماعة الإسلامية الوحيدة التي خالفت في بعض جزئيات عقيدة الشفاعة مخالفة شديدة.

٣ـ قول الإمامية في الشفاعة يلتقي مع قول جمهور المسلمين فيها، ولا خلاف معتد به بينهما في جزئيات هذا المعتقد الأصيل.

الشفاعة في اللغة والاصطلاح

الشفْع في اللغة ضمّ الشيء إلى مثله، والشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلا حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى[1]، والشفْع خلاف الوتر وهو الزوج، تقول: (كان وتْراً فشفعْتُه شفْعاً) أي صيّرته زوجاً،

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٢٦٣، مادة (شفع).

والشفيع هو الشافع، والجمع: شفعاء، والشفيع من الأعداد هو ما كان زوجاً، تقول: (كان وتراً فشفعته بآخر)[١]، واستشفعه: طلب منه الشفاعة، أي قال له: (كن لي شفيعاً)، وشفع إليه في معنى طلب إليه، والشافع والشفيع: الطالب لغيره يتشفّع به إلى المطلوب، والمشفِّع: الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع: الذي تُقبل شفاعته[٢].

والشفاعة في الاصطلاح السؤال في دفع العقاب أو رفعه، أو زيادة الثواب، وهذا المعنى لا يبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي. قال الرازي: **اختلفوا بعد هذا** [أي بعد الإجماع على أنّ لرسول الله ﷺ الشفاعة يوم القيامة] في أنّ شفاعته عليه السلام لمن تكون؟ أتكون للمؤمنين المستحقين للثواب، أم تكون لأهل الكبائر المستحقين للعقاب؟ فذهبت المعتزلة على أنّها للمستحقين للثواب، وتأثير الشفاعة في أن تحصل زيادة من المنافع على قدر ما استحقوه، وقال أصحابنا [أي الأشاعرة] تأثيرها في إسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب، إمّا بأن يشفع لهم في عرصة القيامة حتى لا يدخلوا النار وإن دخلوا النار فيشفع لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة.[٣]

وقال الطبرسي: إنّ الأمّة اجتمعت على أنّ للنبي ﷺ شفاعة

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٧، ص١٥٠، مادة (شفع).

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥١.

(٣) تفسير الرازي، ج ٣، ص ٥٢.

مقبولة، وإن اختلفوا في كيفيتها، فعندنا هي مختصّة بدفع المضارّ وإسقاط العقاب عن مستحقّيه من مذنبي المؤمنين، وقالت المعتزلة: هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين.[(١)]

تحرير محل النزاع

لا خلاف في أصل الشفاعة كعقيدة إسلامية أصيلة، وأنّ الرسول الأكرمﷺ هو صاحب الشفاعة الكبرى يوم القيامة، حيث قال ابن تيمية: ثبت بالنصوص المستفيضة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) إخراج قوم من النار بعد ما امتحشوا، وثبت أيضاً شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) لأهل الكبائر من أمته، والآثار بذلك متواترة عند أهل العلم بالحديث، أعظم من تواتر الآثار بنصاب السرقة ورجم الزاني المحصن ونصب الزكاة ووجوب الشفعة وميراث الجدة وأمثال ذلك.[(٢)]

ولا خلاف أيضاً في جواز طلبها من الحي، ومن الشفعاء يوم القيامة كما نصّ على ذلك حديث الشفاعة: «**فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك...**» «**فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله وخليله من الأرض، اشفع لنا إلى ربك...**» .[(٣)]

لكنّ الخلاف في جواز طلبها منهم في الحياة الدنيا بعد

(١) مجمع البيان، ج ١، ص ٢٣٠ ذيل الآية ٤٨ من سورة البقرة.

(٢) منهاج السنة، ابن تيمية، ج٦، ص٢٠٤.

(٣) صحيح البخاري، ج٤، ص١١٣.

موتهم، فمنع ذلك السلفية واعتبروه من الشرك، وجوّزه أكثر المسلمين واعتبروه مما ندب إليه الشرع وحثّ عليه.

فلا يجوز عند السلفية أن يقول المسلم الحيّ بعد رحيل الرسول الأكرمﷺ: (يا رسول الله، اشفع لنا عند الله) بل ذلك من الشرك عندهم، وإنّما يجب طلب ذلك من الله تعالى فقط، بأن نقول: (يا الله، شفّع فينا رسولك الكريم).(١)

أدلّة الشفاعة التشريعية

هناك أدلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية على هذا النوع من الشفاعة، إليك إشارة مختصرة لجملة منها:

أ ـ القرآن الكريم

نطقت الكثير من آيات الذكر الحكيم بهذا النوع من الشفاعة، إليك إشارة مختصرة لجملة منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿**لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً**﴾(٢)، الضمير في قوله ﴿**لا يَمْلِكُونَ**﴾ يرجع إلى الآلهة التي كانت تُعبد، وإليه أشير في قوله سبحانه: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً * كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ**

(١) منهاج السنة، ابن تيمية، ج١، صص٤٥ ـ ٤٧؛ زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، ابن تيمية، ص١٥٦.

(٢) مريم: ٨٧ .

ضِدّاً﴾.[١]

فتكون الآية جواباً عن اتّخاذهم هذه الآلهة للشفاعة، وهو أن ليس كلّ من يهوى الإنسان شفاعته فاتّخذه إلهاً ليشفع لـه يكـون شفيعاً، بل إنه يملك الشفاعة بعهد من الله، ولا عهـد إلّا لآحـاد من مقرّبي حضرته.

٢ـ قوله: ﴿**يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الـرَّحْمنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾[٢]، الاستثناء في قوله تعالى: ﴿**إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الـرَّحْمنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾ يدلّ عـلى أن العنايـة في الكـلام متعلّقـة بنفـي الشـفعاء لا بتأثير الشفاعة في المشفوع له[٣].

والمراد بـ (الإذن) هو الإذن في الكلام للشفاعة كما يبيّنه قوله بعده ﴿**وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾ فإن التكلّم يومئذٍ منوط بإذنه تعـالى؛ قـال: ﴿**يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بِـإذنِهِ**﴾[٤]، وقـال: ﴿**لا يَتَكَلَّمُـونَ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَقالَ صَواباً**﴾[٥]

٣ـ قوله: ﴿**يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَـنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾[٦]، والمراد من قوله (ارتضـى)

---

(١) مريم: ٨١ ـ ٨٢ .

(٢) طه: ١٠٩.

(٣) الكشّاف، الزمخشري، ج ٣، ص ٨٩ .

(٤) هود: ١٠٥.

(٥) النبأ: ٣٨.

(٦) الأنبياء: ٢٨.

أي ارتضاء دينه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾.(١)

٤ـ قوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضى﴾(٢)، الآية مسوقة لنفي أن يمتلك الملائكة الشفاعة بأنفسهم مستغنين في ذلك عن الله سبحانه كما يروم إليه عبدة الأصنام، فإنّ الأمر مطلقاً إلى الله تعالى وإنّما يشفع من يشفع منهم بعد إذنه تعالى له في الشفاعة ورضاه بها.

٥ـ قوله: ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٣)، السياق سياق العموم، فالمراد بـ ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي يعبدونهم من دونه، كلّ معبود غيره تعالى من الملائكة والجن والبشر وغيرهم، والمراد بـ ﴿الحقّ﴾ هو الحقّ الذي يعني التوحيد، والشهادة به تعني الاعتراف به، وإذا كان حال الشفعاء أنّهم لا يملكونها إلاّ بعد الشهادة بالحق، فما هم بشافعين إلا لأهل التوحيد، كما قال: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى﴾ والآية مصرّحة بوجود الشفاعة في الجملة.(٤)

فهذه الآيات تنصّ على وجود شفعاء يوم القيامة يشفعون وفق شروط خاصّة، وإنّ شفاعتهم مشروطة بإذنه تعالى.

---

(١) النساء: ٤٨.

(٢) النجم: ٢٦.

(٣) الزخرف: ٨٦ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ١٢٧.

شبهة تعارض الآيات الدالة على الشفاعة التشريعية

إنّ آيات الذكر الحكيم التي أشارت إلى الشفاعة التشـريعية تارة أثبتت هذه الشفاعة لغير الله تعالى وفق شروط خاصّة كما مرّ آنفاً، وتارة أُخرى نصّت على أنّها مختصة بالله تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِما كَسَبَتْ لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْها أُولئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِما كَسَبُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ للهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.[٣]

ومن هنا يطرح هذا التساؤل: كيف يمكن الجمع بين هذين الصنفين من الآيات؟

الردّ على الشبهة

يمكن الردّ على هذه الإثارة بما يلي:

١ـ مقتضى التوحيد الأفعالي الذي يعني الاعتقاد بأنّ كلّ ما هو موجود في العالم من العلل والمعلولات والأسباب والمسبّبات

---

(١) الأنعام: ٥١.

(٢) الأنعام: ٧٠.

(٣) الزمر: ٤٤.

الأنظمة الطبيعية وما فوقها، يقع بإرادته في حدوثه وبقائه وتأثيره، فكلّ شيء قائم به وهو القيّوم المطلق، ولا حول ولا قوّة ولا تأثير إلاّ به وبإذنه[١]؛ أنّه لا مؤثّر في عالم الكون إلا الله سبحانه، أي أنّه لا يوجد مؤثّر مستقلّ سواه، وأنّ تأثير سائر العلل والوسائط إنّما هو على وجه التبعية لإرادته ومشيئته، والاعتراف بمثل هذه العلل التابعة لا ينافي انحصار التأثير الاستقلالي في الله تعالى.

وهذا هو الأسلوب الذي اعتمده القرآن الكريم في جملة من الآيات لمعالجة هذه المسألة، حيث ينفي كلّ كمال عن غيره تعالى ويحصره به سبحانه، ثم يثبته لغيره بإذنه ومشيئته، أي أنّ جميع الكائنات لا تمتلك من هذه الكمالات ما تمتلكه بنفسها واستقلالها، وإنّما تمتلكها بتمليك الله إياها.[٢]

وفي ضوء هذه الحقيقة يمكن معالجة الصنفين المتقدّمين من الآيات في الشفاعة التشريعية، فإنّها إذا كانت عبارة عن جريان الفيض الإلهي على عباده لتطهيرهم من الذنوب وتخليصهم من شوائب المعاصي، فهي فعل مختصّ بالله سبحانه لا يقدر عليه

---

(١) انظر في تفصيل ذلك: التوحيد بحوث في مراتبه ومعطياته، السيد كمال الحيدري، تقرير: جواد علي كسار، ج ٢، ص ٩.

(٢) تفسير الرازي، ج ٣١، ص ٢٧؛ نهاية الحكمة، العلاّمة محمد حسين الطباطبائي، ص ١٧٦.

أحد إلا باقتداره وإذنه، وبذلك تصحّ نسبتها إلى الله سبحانه بالأصالة وإلى غيره بالتبعية، ولا منافاة بين النسبتين.[١]

٢ـ ينطلق هذا الجواب من رؤية قائمة على أساس أنّ نسبة الخلق والتدبير والغنى والقوّة والإحياء والإماتة ونحو ذلك إليه تعالى، إنّما هي مظاهر وتجلّيات وآيات لخالقية الله وتدبيره وآمريته وولايته سبحانه.

هذه المعالجة ترفض بصراحة أن يكون للكائنات ولاية أو عزّة أو قوّة أو إحياء أو إماتة مقابل ولاية الله وعزّته وإحيائه وإماتته، لأنّ هذا من الشرك الجليّ، فإذا فرضنا أنّ الولاية ولايتان، هما ولاية الله وولاية غيره وأنّ إحداهما تقابل الأخرى، فهذا من الشرك الجليّ الذي ثبت بطلانه عقلاً ونقلاً في مباحث التوحيد الأفعالي.

كما ترفض هذه المعالجة أن تكون هذه الولاية وضروب التصرّف الأخرى، إلى جانب ولاية الله على النحو الذي تنتهي ولاية الله سبحانه عند حدّ معيّن لتبدأ ولاية المخلوق، أو تنتهي عزّته عزّ وجلّ عند دائرة معيّنة لتبدأ عزّة المخلوق، أو تنتهي قوّته لتبدأ قوّة المخلوق وهكذا، لأنّ هذا النمط من التفكير

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، ج ٥، ص ١٦٠، الجزء الثالث والعشرون والرابع والعشرون؛ الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص١٥٧.

والفهم والاعتقاد يرجع إلى الشرك الخفيّ وإلى افتراض محدودية الله جلّ جلاله، وهو أمر مرفوض جملةً وتفصيلاً[١]؛ لأنّ الله سبحانه ليس له حدّ ينتهي عنده وإلا لكانت وحدته مقهورة لا قاهرة، لأنّ صريح القرآن يؤكّد على أنّ وحدته قاهرة: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٢] ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٣]، وهذا ما أشار إليه إمام الموحّدين عليّ عليه السلام في مواضع من خطبه، حيث قال: «**من وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله**»[٤]، «**فالحدّ لخلقه مضروب وإلى غيره منسوب**»[٥]، «**لا يشمل بحدّ ولا يحسب بعدّ**»[٦].

إذن، هذه المعالجة ترفض أن تكون هذه الأمور ـ من تدبير وتصرّف ونحوهما ـ في طول تدبير الله وتصرّفه، فضلاً عن أن تكون في عرضهما.

نعم، إذا كان هناك نحو من الخالقية والولاية والعزّة والقدرة والحاكمية وما شابه ذلك، فهو بنحو الظهور والتجلّي، أو هو ـ استناداً للتعبير القرآني على تسامح في الصياغة ـ بنحو الآيتية

(١) التوحيد بحوث في مراتبه ومعطياته، ج ١، ص ٧٢.

(٢) ص: ٦٥.

(٣) يوسف: ٣٩.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ٥٢.

(٥) المصدر نفسه، الخطبة ١٦٣.

(٦) المصدر نفسه، الخطبة ١٨٦.

المشتقّة من قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.(١)

ب ـ الروايات

نصّت الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة على هذا النوع من الشفاعة، إليك إشارة مختصرة لجملة منها:

الروايات الشيعية

روى علماء الشيعة ومحدثوهم روايات كثيرة في الشفاعة، إليك جملة منها:

أ ـ حديث أبي جعفر عليه السلام: فقد روى البرقي في (المحاسن) بسنده إلى أبي حمزة، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «**إن لرسول الله صلى الله عليه وآله شفاعة في أمته**»(٢). وبلفظ آخر: «**للنبي صلى الله عليه وآله شفاعة في أمته، ولنا شفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا شفاعة في أهل بيتهم**»(٣).

وروى الحميري القمي (ت/ ٣٠٠هـ) بسنده إلى مسعدة بن صدقه، قال: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: «**قال رسول الله** (صلى الله عليه وآله): (**صنفان لا تنالهما شفاعتي: سلطان**

---

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ج١، ص١٨٤، ح١٨٨، باب ٤٥ الشفاعة.

(٣) المصدر نفسه.

غشوم عسوف، وغالٍ في الدين مارق منه غير تائب ولا نازع)».[١]

ب ـ حديث أبي عبد الله عليه السلام: روى الشيخ الكليني في (الكافي) بسنده إلى عيص بن القاسم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **«إنّ أناساً من بني هاشم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشي، وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذي جعله الله للعاملين عليها فنحن أولى به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا بني عبد المطلب، إنّ الصدقة لا تحل لي ولا لكم، ولكنّي قد وعدت الشفاعة)»، ثم قال أبوعبد الله عليه السلام: «والله لقد وعدها صلى الله عليه وآله، فما ظنكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة أتروني مؤثراً عليكم غيركم».**[٢]

وروى بسنده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا ينال شفاعتي من استخف بصلاته)».**[٣]

ورواه البرقي في المحاسن بسنده إلى أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، نحوه[٤]، وفي الباب أحاديث كثيرة لا ضرورة في نقلها؛ لوضوح المسألة عند اتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) قرب الاسناد، أبو العباس عبدالله بن جعفر الحميري، ص٦٤، ح٢٠٤.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٤، ص٥٨، ح١، باب الصدقة لبنى هاشم ومواليهم وصلتهم.

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص٤٠٠، ح١٩، باب شارب الخمر.

(٤) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ج١، ص٨٠، ح٥، عقاب من تهاون بالوضوء.

الروايات السنية

أخرج محدثو السنة وحفاظهم روايات كثيرة في الشفاعة، إليك جملة منها:

أ ـ حديث جابر بن عبد الله الانصاري: فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، بسنديهما إلى جابر بن عبد الله الأنصاري، أنّ النبي الأكرم ﷺ، قال (اللفظ للبخاري): «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**».(١)

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده إليه، أنّ رسول الله ﷺ، قال: «**من قال حين يسمع النداء: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته)، حلت له شفاعتي يوم القيامة**».(٢)

وأخرج مسلم في صحيحه من طريق أبي الزبير أنّه سمع

---

(١) صحيح البخاري، ج١، ص١٢٨، ح٣٢٨، كتاب التيمم، قول الله تعالى ﴿فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾. ج١، ص١٦٨، ح٤٢٧، باب (قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا». صحيح مسلم، ج١، ص٣٧٠، ح٥٢١، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح البخاري، ج١، ص١٥٢، باب ما يقول إذا سمع المنادى. ج٥، ص٢٢٨، باب قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا.

جابر بن عبد الله يقول عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «**لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وخبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة**».[١]

وأخرجه الترمذي في سننه وحسّن سنده، من طريق الإمام جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال: قال **رسول الله** (صلى الله عليه وسلم): «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».[٢]

ب ـ حديث أنس بن مالك: أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، بسنديهما إلى أنس بن مالك أنّه قال (اللفظ للبخاري): **حدثنا محمد** (صلى الله عليه وسلم)، **قال**: «**إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنّه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى فإنّه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنّه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد** (صلى الله عليه وسلم)؛ **فيأتونني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها ـ لا تحضرني الآن ـ فأحمده بتلك المحامد، وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك وقُل يُسمع لك وسَل تُعط واشفع تُشفّع، فأقول: يا ربّ، أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج**

---

(١) صحيح مسلم، ج١، ص١٨٨، ح٢٠١، باب ٨٦ (النبي (صلى الله عليه وسلم) دعوة الشفاعة لأمته) .

(٢) سنن الترمذي، ج٤، ص٢٤٣٦، ح ١، باب١ (ما جاء في الشفاعة) .

منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك وقُل يُسمع لك وسَل تُعط واشفع تُشفّع، فأقول: يا ربّ، أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك وقُل يُسمع لك وسَل تُعط واشفع تُشفّع، فأقول: يا ربّ، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل...» [(١)].

وأخرج مسلم في صحيحه من عدّة طرق، عن أنس بن مالك أيضاً، أنّ نبي الله (صلى الله عليه وسلم) قال: **«لكل نبي دعوة دعاها لأمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة»**[(٢)].

وأخرج الترمذي في سننه وصحّح سنده، من طريق ثابت، عن أنس، قال: **قال رسول الله** (صلى الله عليه وسلم): **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**.[(٣)]

---

(١) صحيح البخاري، ج٦، ص٢٧٢٧، ح٧٠٧٢، باب ٣٦ (كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) . صحيح مسلم، ج١، ص١٨٢، ح١٩٣، باب ٨٤ (أدنى أهل الجنة منزلة فيها) .

(٢) صحيح مسلم، ج١، ص ١٩٠، باب ٨٦ (اختباء النبي (صلى الله عليه وسلم) **دعوة** الشفاعة لأمته) .

(٣) سنن الترمذي، ج٤، ص ٦٢٢، ح٢٤٣٥، باب ١ (ما جاء في الشفاعة) .

ج ـ حديث أبي هريرة: أخرج البخاري في صحيحه، بسنده إلى أبي هريرة، قال: **أتى النبي** (صلى الله عليه وسلم) **يوماً بلحم فقال: «إنّ الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم»، فذكر حديث الشفاعة**... .[١]

وأخرج مسلم في صحيحه بعدّة طرق، عن أبي هريرة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: **«لكل نبي دعوة يدعوها فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة»**.[٢]

وأخرج الترمذي في سننه وحسّن سنده من طريق يزيد بن عبد الله الزغافري، عن أبي هريرة، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال في قوله تعالى: ﴿**عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً**﴾: **«هي الشفاعة»**.[٣]

وأخرج البخاري في صحيحه من طريق آدم بن علي، قال سمعت ابن عمر يقول: **«إنّ الناس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي** (صلى الله عليه وسلم)**، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»**[٤] .

---

(١) صحيح البخاري، ج٣، ص١٢٢٦، باب (﴿يزفون﴾ النسلان في المشي) .

(٢) صحيح مسلم، ج١، ص، ح١٩٨ و ١٩٩، باب ٨٦ (اختباء النبي (صلى الله عليه وسلم) دعوة الشفاعة لأمته) .

(٣) سنن الترمذي، ج٥، ص٣٠٣، ح٣١٣٧، باب ٨ (ومن سورة بني إسرائيل).

(٤) صحيح البخاري، ج٤، ص١٧٢٨، ح٤٤٤١، باب (﴿عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾) .

د ـ حديث أبي سعيد الخدري: فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما، بسنديهما إلى أبي سعيد الخدري، نحو حديث أنس، وزاد فيه (اللفظ للبخاري): «**ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا ربّ، ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنّ منها من قال لا إله إلا الله**»[(١)].

وأخرج الترمذي في سننه وحسّن سنده من طريق عطية، عن أبي سعيد، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «**إنّ من أمتّي من يشفع للفئام، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل، حتى يدخلوا الجنة**»[(٢)].

هـ ـ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أخرج مسلم في صحيحه بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، أنّه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ؛ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنّها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله،**

---

(١) صحيح البخاري، ج٦، ص٢٧٢٧، ح٧٠٧٢، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. صحيح مسلم، ج١، صص١٦٧ ـ ١٧٠، ح١٨٣، ٨٠ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى.

(٢) سنن الترمذي، ج٤، ص٦٢٢، ح٢٤٤٠، باب ما جاء في الشفاعة.

وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[١].

و- حديث أُبي بن كعب: أخرج الترمذي في سننه وحسّن سنده من طريق الطفيل بن أُبي بن كعب، عن أبيه، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر**».[٢]

وفي الباب أيضاً عن عمران بن حصين وأبي موسى الأشعري ومعاوية وعثمان بن عفان وعبد الله بن أبي الجدعاء وعوف بن مالك الأشجعي وأبي أمامة وعامر الجهني، لكن لا يسع المجال لذكرها.

حقيقة فعل الشفيع

هناك نظريتان في بيان حقيقة فعل الشافع:

الأولى: الشفيع لا يطلب من المولى مثلاً أن يبطل مولوية نفسه وعبودية عبده فلا يعاقبه، ولا يطلب منه أن يرفع اليد عن حكمه وتكليفه المجعول أو نسخه عموماً أو في خصوص الواقعة فلا يعاقبه، ولا يطلب منه أن يبطل قانون المجازاة عموماً أو خصوصاً فلا يعاقب لذلك رأساً أو في خصوص الواقعة، فلا

(١) صحيح مسلم، ج١، ص٢٨٨، ح٣٨٤، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم يسأل الله له الوسيلة.

(٢) سنن الترمذي، ج٥، ص٥٨٦، ح٣٦١٣، كتاب المناقب عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، باب في فضل النبي (صلى الله عليه وسلم) .

نفوذ ولا تأثير للشفيع في مولوية وعبودية ولا في حكم ولا في جزاء، بل الشفيع بعدما يسلّم جميع الجهات الثلاث المذكورة إنّما يتمسك إمّا بصفاتٍ في المولى الحاكم توجب العفو والصفح، كسؤدده وكرمه وسخائه وشرافة مجده، وإمّا بصفاتٍ في العبد تستدعي الرأفة والحنان وتثير عوامل المغفرة، كمذلّته ومسكنته وحقارته وسوء حاله، وإمّا بصفاتٍ في نفسه، أعني نفس الشفيع من قربه إلى المولى وكرامته وعلوّ منزلته عنده، فيقول: (ما أسألك إبطال مولويّتك وعبوديّته، ولا أن تبطل حكمك ولا أن تبطل الجزاء، بل أسألك الصفح عنه بأنّ لك سؤدداً ورأفةً وكرماً لا تنتفع بعقابه ولا يضرّك الصفح عن ذنبه، أو بأنّه جاهل حقير مسكين لا يعتني مثلك بشأنه ولا يهتمّ بأمره، أو بأنّ لي عندك من المنزلة والكرامة ما يوجب إسعاف حاجتي في تخليصه والعفو عنه).[1]

الثانية: تأثير الشفيع إنّما يتمّ من خلال طريقين، إحداهما: التمسّك بصفات المولى عزّ اسمه، والأخرى: التمسّك بصفات العبد، غير أنّه لا يحقّ لكلّ أحدٍ أن يسأل الله تبارك وتعالى الشفاعة لغيره، بل هو مختصّ بطبقة مأذونة من قبله سبحانه وتعالى، كما أسلفنا الإشارة إليه. إذن فليس الطريق الثالث الذي ذكر في النظرية الأولى ـ وأعني به التمسك بصفات نفس

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٥٩.

الشفيع ـ يعدّ طريقاً آخر يتعارض مع الطريق الأول والثاني، بل إنّ صفات الشفيع ومقاماته ودرجاته هي التي تحقّق له مقـدّمات الإذن في سؤال الله تبارك وتعالى الشفاعة لغيره.

وكيفما كان فإنّ فعل الشفيع سـواء كـان مـن خـلال الطريـق الأول أو الطريق الثاني، فذلك لا يتمّ إلا إذا حقّق العبد المشفوع له المقدّمات والشرائط اللازمة لذلك، ورفع الموانـع التـي تمنـع مـن شمول الشفاعة له. فالإنسان الذي يريد أن يكون مستحقّاً لشفاعة أشفع الشافعين تبارك وتعالى لا بدّ أن يرفع المانع من ذلـك، وهـو الشـرك ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْـرَكَ بِـهِ وَيَغْفِـرُ مَـا دُونَ ذلِـكَ لِمَـنْ يَشَاءُ﴾[(١)]، وأن يوجد الشرط اللازم وهو الإسلام ﴿إِنَّ الدِّيـنَ عِنْـدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾[(٢)]، ولو أراد أن يكون مشمولاً لشفاعة سيد المرسـلين محمدﷺ فلا بد من رفع المانع وهو العناد وعدم الإيمان بهﷺ وأن يوجد الشـرط وهـو الاتبـاع ﴿قُـلْ إِنْ كُنْـتُمْ تُحِبُّـونَ اللهَ فَاتَّبِـعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[(٣)]

إذن لكي يكون العبد مشمولاً لشفاعة من يحقّ لـه الشـفاعة لا بدّ من إزالة الموانع عن نفسه، وبغير ذلك يُحرم من نعمة العفو والغفران الإلهي وذلك لا لقصـور في فاعليـة الفاعـل والعطـاء

(١) النساء: ٤٨.
(٢) آل عمران: ١٩.
(٣) آل عمران: ٣١.

الإلهي، بل لضيق في قابلية القابل.

والحاصل أنّ الدخول تحت اسم الرحيم والكريم والمحسن والعفوّ والغفور ونحوها، والخروج من تحت اسم العادل والمنتقم وشديد العقاب وما شابهها، متروك للإنسان ومرتبط به من حيث اعتقاداته وملكاته وأقواله وأفعاله. هنا يأتي دور الشفيع لكي يُسأل الشفاعة من خلال الطريق الأول والثاني، وإن كان يرجع أحدهما إلى الآخر بالدقّة.

أثر الشفاعة

اتّفقت كلمة علماء المسلمين على أن الشفاعة التشريعية من الأصول الأساسية في العقيدة الإسلامية، قال النووي عن القاضي عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح الآيات وبخبر الصادق، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة... .[1]

وقال محمد بن عبد الوهاب: «ثبتت الشفاعة لنبينا محمد يوم القيامة ولسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسبما ورد، ونسألها من المالك لها والآذن فيها... الشفاعة حقّ في الآخرة، ووجب على كلّ مسلم الإيمان بشفاعته بل وغيره من الشفعاء.[2]

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ج ٢، ص ٥٨.

(٢) الهدية السنية، الرسالة الثانية، ص٤٢، نقلاً عن: مفاهيم القرآن، ص ١٦٧.

وقال الطبرسي في تفسيره: إنّ الأمّة أجمعت على أنّ للنبيﷺ شفاعة مقبولة وإن اختلفوا في كيفيتها.[١]

إلا أنّه وقع الاختلاف بين الأعلام في الأثر المترتّب على هذا النحو من الشفاعة، ويمكن الإشارة إلى أهم الأقوال في هذا المجال ضمن النقاط التالية:

١ ـ دفع العقاب لا رفعه

يرى صاحب هذه النظرية أنّ للشفاعة بذوراً ونباتاً وثمراً، فبذورها العلم ونباتها العمل وثمرها النجاة في الآخرة، فالأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) علّموا الناس في الدنيا وفيها غرسوا البذور، والناس إذا عملوا بما سمعوا منهم ولم تكن تلك الشرائع منسوخة فقد استعدوا للنتيجة، ويوم القيامة ينالون تلك الثمرة وهي النجاة والارتقاء، ولكن تلك الثمرات تختلف باختلاف أعمالهم وجدّهم وحبّهم للخير وأخلاقهم، فمبادئ الشفاعة العلم وأوسطها العمل ونهايتها الفوز والرقيّ في الآخرة، بل كثيراً ما تظهر بعض الثمرات في الحياة الدنيا بالتوفيق والنصر والعزّ، وجاء في الحديث: «**يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**»، فهذا يفيد أنّ الشفاعة تابعة

---

(١) مجمع البيان، ج ١، ص ٢٣٠.

للاقتداء، فالأنبياء علّموا العلماء والعلماء علّموا الناس، وأفضل الناس بعد الأنبياء العلماء فالشهداء، وهم بما قدّموا أنفسهم في سبيل الله أصبحوا قدوة للناس وأعطوهم درساً نافعاً يتبعونهم فيه، فمن لم يعمل بما أنزل الله وتجافى عن الحقّ فقد عطّل ما وهب له من بذر الشفاعة ولم يسقه ولم يربّه ولم ينْمه العمل، فيحرم ثمرته مع أنّه ساوى جميع المسلمين في حصول البذر عنده وخالفهم في قعوده عن استثماره، ساواهم في نوال بذر الشفاعة وخالفهم ونقص عنهم فيما بعد ذلك[1].

ويلاحظ على هذا القول أنّه يخصّ الشفاعة الواردة في الآيات والروايات بدفع العقاب قبل وجود ما يوجبه، والحال أنّ الشفاعة المصطلحة تعني تخليص العصاة يوم القيامة من عواقب أعمالهم وآثار معاصيهم وأفعالهم.

توضيح ذلك: إنّ الشفاعة التي يقولها صاحب هذا الاتجاه تعني أنّ نزول الشريعة على الأنبياء عليهم السلام وتعليمهم إيّاها للناس وهدايتهم إلى العمل الصالح وبيانهم سبل التوبة والعمل بها، كلّ ذلك يكون سبباً لدفع العقوبة قبل أن تثبت في حقّ هذا العبد أو ذاك، لا أنها ـ أي العقوبة ـ سوف تتحقّق وكتبت له ثم ترفع عنه يوم القيامة بشفاعة الشفعاء.

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الشيخ طنطاوي جوهري، ج ١، صص ٦٤ـ٧٠ بتصرّف.

٢ ـ دفع العقاب ورفعه

هذا الاتجاه وإن لم يختلف مع الاتجاه الأول في أنّ الوظيفة الأساسية للأنبياء والأئمة والعلماء والكتب السماوية أن يبلّغوا الوحي الإلهي إلى الناس ويعلّموهم طرق النجاة والفلاح ويحذّروهم الوقوع في المهاوي والمهالك، فيكونوا بذلك سبباً من أسباب دفع العقاب عنهم، وأنّ ذلك من مصاديق الشفاعة، إلا أنّه بالاضافة إلى ذلك يُعتقد أنّ الآيات والروايات لم تحصر الشفاعة بهذا المصداق وإنّما ذكرت مصداقاً آخر لها يقوم على أساس أنّ إرادة الله الحكيمة جرت في صفحة الوجود الإمكاني بأن يتحقّق كلّ شيء من طريق سببه الخاصّ به، فكما أنّ رحمته التي وسعت كلّ شيء ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[١]، تصل إلى عباده في الحياة الدنيا عن طرق خاصّة وعلل طبيعية يلمسها كلّ من فتح عينه على الكون، فكذلك رحمته المعنوية ومغفرته الواسعة تصل في الحياة الأخرى إلى عباده عن طريق علل وأسباب خاصّة، ولتكن من جملتها شفاعة الشافعين من أنبيائه وأوليائه والمقرّبين من عباده من غير جزاف ولا ظلم، وما ذلك إلا لأنّ الله سبحانه قد جعل لكلّ شيء سبباً وقضى أن لا يصدر المسبّب إلا بتوسّط أسبابه، فدارُ الوجود والكون هي دار الأسباب والمسببات والعلل والمعلولات، وقد جرت على ذلك

---

(١) الأعراف: ١٥٦.

مشيئة الله وقدرته، وهذا ما أشارت إليه الآيات والروايات المتقدمة، خصوصاً مع الاخذ بعين الاعتبار الآيات الكريمة الدالة على أن الله تعالى جعل دعاء خيرة من عباده النجباء في الحياة الدنيا سبباً لغفرانه ورحمته، كما في قوله تعالى: ﴿يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ... سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[3].

فهذه الآيات ونظائرها تدلّ على أنّ مغفرته سبحانه قد تصل إلى عباده بتوسيط واسطة كالأنبياء عليهم السلام، كما قد تصل بلا واسطة كما نصّ على ذلك قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[5].

إذا تمّ ما سبق من التحليل لمفهوم الشفاعة فلا محذور في جريانها يوم القيامة على يد عدّة من عباده من الملائكة والناس من بعد الإذن والارتضاء، فهو تمليك ولله الملك وله الأمر، فلهم

---

(١) يوسف: ٩٧ و ٩٨.

(٢) النساء: ٦٤.

(٣) التوبة: ١٠٣.

(٤) التحريم: ٨.

(٥) هود: ٩٠.

أن يتمسّكوا برحمته وعفوه ومغفرته وما أشبه ذلك من صفاته العليا لتشمل عبداً من عباده ساءت حاله بالمعصية وشملته بليّة العقوبة، وذلك عن طريق ما تقدّم بيانه من أنّ الشفيع إنّما يحكّم بعض العوامل المربوطة بالمورد المؤثّرة في رفع العقاب مثلاً من صفات المشفوع عنده أو نحوها على العامل الآخر الذي هو سبب وجود الحكم وترتّب العقاب على مخالفته، فلا يشمله الحكم الأول لعدم كونه من مصاديقه، لا أن يشمله فيبطل حكمه بعد الشمول بالمضادّة.

فحقيقة الشفاعة هي التوسّط في إيصال نفع أو دفع شرّ بنحو الحكومة دون المضادّة، فهي من مصاديق السببية حيث يتوسّط السبب المتوسّط القريب بين السبب الأول البعيد ومسبَّبه.

وقد دلّت الآيات الكريمة والروايات الشريفة على أنّ الشفاعة لا تختصّ بالذي ذكر في الاتجاه الأول، وإنّما تجري لتشمل العصاة والمذنبين يوم القيامة أيضاً.

فمن الآيات قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾**(١)، فلو كان المراد هو المغفرة في ضوء الطاعة العملية من الإيمان والعمل الصالح لما صحّ استثناء الشرك في الآية، لأنّ الشرك يغفر في هذا الإطار أيضاً لقوله: **﴿قُلْ يَا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ**

---

(١) النساء: ٤٨.

اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إلى رَبِّكُمْ﴾[١].

وهذا معناه أنّ لله سبحانه مغفرة ورحمة خارجة عن إطار العمل والتوبة، وأنّ رحمته الواسعة كما تصل إلى عباده عن طريق الإيمان والعمل الصالح، تصل إليهم عن طريق آخر وهو كون العبد قابلاً للمغفرة والرحمة حافظاً لعلاقاته مع الله ومع الشفعاء وإن كان قاصراً في العمل[٢].

ومن الآيات أيضاً قوله عز من قائل: **﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللّهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضى﴾**[٣]، ومن المعلوم أن الشفاعة الممكنة من الملائكة في حقّ الإنسان إنّما هي الشفاعة المصطلحة في النشأة الأخرى، لعدم وجود علاقة التوجيه والتعليم من الملائكة للبشر مباشرة وبلا واسطة في هذه النشأة.

وكذلك قوله تعالى: **﴿وَلا يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾**[٤].

ومن الآيات أيضاً قوله: **﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً * يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ**

---

(١) الزمر: ٥٣ و ٥٤.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٣٧٠؛ تفسير الرازي، ج ١٠، ص ١٠٠.

(٣) النجم: ٢٦

(٤) الأنبياء: ٢٨.

الشَّفاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[١].

فإذا لاحظنا هذه الآية وأمعنّا النظر في كلمة «يومئذ» التي وردت مكرّرة في الآيات، نقف على أنّ ظرف إعمال الشفاعة وتحقّقها وظهور نتائجها إنّما هو في النشأة الأخروية، أعني اليوم الموعود الذي وعده الله لجميع الناس ﴿إِنَّكَ جامِعُ النّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[٢]، ومن الواضح أنّ هذه الشفاعة هي غير الشفاعة التي يكون تحقّقها في الحياة الدنيا وتظهر نتائجها وآثارها في الحياة الأخرى، فكيف يصحّ تفسير إحدى الشفاعتين بالأخرى.

أما الروايات فهي كثيرة تقدمت الإشارة لجملة منها.

٣ ـ زيادة الثواب لا اسقاط العقاب

اتجه المشهور من أتباع المعتزلة إلى القول بأنّ الشفاعة ـ التي أجمعت عليها الأمّة ـ مختّصة بالتائبين من المؤمنين، فيكون أثرها ترفيع المقام وزيادة الثواب في الآخرة لا الإنقاذ من العذاب والخروج منه[٣].

والسبب الذي دعا هؤلاء إلى القول بأنّ الشفاعة إنّما هي لزيادة الثواب لا لرفع العقاب، هو ما اختاروه في مسألة معروفة

---

(١) طه: ١٠٨ و ١٠٩.

(٢) آل عمران: ٩.

(٣) تفسير الرازي، ج ٣، ص ٥٢؛ مجمع البيان، الطبرسي، ج ١، ص ٢٣٠ ذيل الآية ٤٨ من سورة البقرة.

وقع الخلاف فيها بين المدارس الكلامية، وهي هل الفاسق مخلّد في العذاب أو لا؟

مما لا ريب فيه أنّ الله تعالى توعّد المجرمين التخليد في العذاب، فهل هذا مختصّ بالمشركين والمنافقين أم يعمّ مرتكب الكبيرة أيضاً؟ ذهب جملة من أعلام المعتزلة إلى عمومها، من هنا صار القول بالخلود في النار لمرتكبي الكبائر من السمات البارزة التي تميّز مذهب الاعتزال عن غيره، فخالف المعتزلة في ذلك جمهور المسلمين.[1]

ولا نريد هنا الدخول في الأدلّة التي ساقها المعتزلة لإثبات دعواهم وما يمكن أن يرد على هذه الاستدلالات من النقوض والإشكالات، لأنّه بحث موكول إلى غير هذه الدراسة[2]، لكن يمكن الإشارة إلى بعض الآيات التي تدلّ على أنّ مرتكب الكبيرة غير مخلّد في النار وإن لم يتب منها:

أ ـ قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُو عَنِ**

---

(١) أوائل المقالات، ص ١٤؛ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلّي، ص ٤١٤ المسألة الثامنة من المقصد السادس في المعاد؛ شرح (تجريد الاعتقاد) لنصير الدين محمد بن محمد الطوسي، علاء الدين علي بن محمد القوشجي، ص ٣٨٦؛ تفسير الرازي، ج ٣، ص ١٣٢.

(٢) يمكن مراجعة كلمات الطرفين في: بحوث في الملل والنحل، ج٣، صص ٣٤٦ ـ ٣٥١؛ تفسير الرازي، ج٣، صص١٣٣ ـ ١٤٨ في الآية ٨١ من سورة البقرة.

السَّيِّئاتِ وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ﴾[١]، فإنّ عطف قوله ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ﴾ على قوله ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ بـ (واو العطف) يدلّ على التغاير بين الجملتين وأن هذا العفو لا يرتبط بالتوبة وإلا كان اللازم عطفه بالفاء.

قال الرازي: قوله تعالى: ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ﴾ إمّا أن يكون المراد منه أن يعفو عن الكبائر بعد الإتيان بالتوبة أو المراد منه أن يعفو عن الكبائر قبل التوبة، والأول باطل وإلا لصار قوله: ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئات﴾ عين قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ والتكرار خلاف الأصل، فبقي القسم الثاني فيكون المعنى أنّه تارة يعفو بواسطة قبول التوبة وتارةً يعفو ابتداءً من غير توبة.[٢]

ب ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً﴾[٣]، وجه دلالة الآية على أنّ رحمته وعفوه يشملان غير التائب من الذنوب، أنّه سبحانه نفى غفران الشرك دون غيره من الذنوب، وبما أنّ الشرك يُغفر مع التوبة كما تقدّم مراراً، فتكون الجملتان ناظرتين إلى غير التائب لكي يكون النفي والإثبات فيهما متوجهين إلى شيءٍ واحدٍ.

---

(١) الشورى: ٢٥.

(٢) تفسير الرازي، ج ٢٧، ص ١٤٥.

(٣) النساء: ٤٨.

فمعنى قوله: ﴿لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أنّه لا يغفر إذا مات بلا توبة، كما أنّ معنى قوله: ﴿وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ أنّه يغفر ما دون الشرك من الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين، ولو كانت سائر الذنوب مثل الشرك غير مغفورة إلا بالتوبة لما حسن التفصيل بينهما مع وضوح دلالة الآية على التفصيل.

ولا يلزم من حمل الآية على ظاهرها وإدخال ما دون الشرك في الغفران الإلهي إغراءً بالمعصية، لأنّ الإغراء إنّما يحصل بالقطع على الغفران، وأمّا إذا كان الغفران متعلّقاً بالمشيئة فلا إغراء فيه، بل يكون العبد به واقفاً بين الخوف والرجاء على الصفة التي وصف الله بها عباده المرتضين في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[1]، وقوله: ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[2].

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[3]، فإنّ الآية واردة في حقّ غير التائب وإلا فإنّ الله سبحانه يغفر ذنوب التائب جميعاً ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[4]، لا كثيرها فقط، مع أنّه سبحانه يقول ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

إنّ الآية دالّة على أنّه تعالى يترك الكثير من هذه التشديدات

---

(١) السجدة: ١٦.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) الشورى: ٣٠.

(٤) الزمر: ٥٣.

بفضله ورحمته. وروي عن الإمام علي عليه السلام أن النبيّ صلى الله عليه وآله قرأ هذه الآية وقال: «**ما عفا الله عنه فهو أعزّ وأكرم من أن يعود إليه في الآخرة، وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد العذاب عليه في الآخرة**».[1]

وكيفما كان فقد ترتّب على هذا الأصل الذي اختاره بعض أعلام المعتزلة (من أنّ العصاة ومقترفي الذنوب إذا ماتوا بلا توبة فإنّهم مخلّدون في النار) أن اتجهوا إلى توجيه الآيات والروايات الدالّة على إثبات الشفاعة لرفع العقاب بما ينسجم مع قواعدهم في تلك المسألة، فاستدلّوا لاثبات دعواهم بكون الشفاعة هي لزيادة الثواب لا لإسقاط العقاب، بوجوه لا يسع المجال هنا لذكرها ومناقشتها.

والحاصل أنّ المشهور بين المحققين من علماء المسلمين أنّ الشفاعة الثابتة لسيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله في أمّته بل في الأمم السالفة ولسائر الأنبياء والأئمة والملائكة والأولياء وغيرهم، كما أنّها تكون في زيادة الثواب لإسقاط العقاب عن فسّاق المسلمين، إمّا بأن يشفعوا لهم في عرصة القيامة حتى لا يدخلوا النار، وإن دخلوا فيشفعوا لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة، خلافاً للخوارج وبعض أعلام المعتزلة حيث خصّصوها لطلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقّين للثواب.

---

(١) رواه الواحدي في البسيط نقلاً عن التفسير الكبير، ج ٢٧، ص ١٤٩.

شرائط الشفاعة

إن الضابطة الكليّة التي يجب الالتفات إليها هنا أن القرآن الكريم لم يحدّد شخصاً معيّناً أو جماعة معيّنة أو ذنباً معيّناً تشمله الشفاعة على نحو التحديد، لأنّ لازم مثل ذلك هو نقض الغرض الذي من أجله أنزلت الشرائع وبلّغها الأنبياء والرسل إلى الناس، وإلا لو أحرز الإنسان التخلّص من الجزاء وتبعة المخالفة والعصيان بشفاعة أو غيرها للزم أن يكون هذا المبدأ هادماً للإنسانية ومؤخراً للمدنية كما مرّ.

فالإسلام لا يثبت الشفاعة بالمعنى الذي ينسب إلى المسيحية من أنّ المسيح فدى الناس في معاصيهم بصلبه فأتباعه يتّكلون عليه في تخليصهم من يد القضاء يوم القيامة، ولا الشفاعة التي يثبتها تؤثّر الأثر الذي زعموه لها.

نعم، أثبت القرآن من الشفاعة هذا المعنى وهو أنّ المؤمنين لا يخلدون في النار يوم القيامة بشرط أن يلاقوا ربّهم بالإيمان المرضيّ والدين الحق، فهو وعد وعده القرآن مشروطاً، ثم نطق بأنّ الإيمان من حيث بقائه على خطر عظيم من جهة الذنوب ولا سيما الكبائر، وهذا لازمه أنّ الإنسان على شفا جرف الهلاك الدائم، وبذلك يتحصل رجاء النجاة وخوف الهلاك، ويسلك المؤمن بين الخوف والرجاء فيعبد ربّه رغبة ورهبة ويسير في حياته سيراً معتدلاً غير منحرف لا إلى خمود القنوط ولا إلى

كسل الوثوق.

في ضوء هذه الحقيقة فإنّ القرآن عَرّف من تشملهم الشفاعة تعريفاً لا يخلو من الإبهام والإجمال من خلال بيان الشروط والضوابط التي تنطبق عليهم لئلا يؤدي ذلك إلى الأمن من الجزاء والعقوبة التي يستحقّها المذنب.

لكنّ الشرط الأساسي الذي بيّنه القرآن الكريم لمستحقّ الشفاعة هو ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضى﴾(١)، فلا تنال شفاعة الشافعين أحداً إلا من ارتضاه الله سبحانه، فمن هو المرضيّ عند الله حقاً؟

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾(٢)، حيث بيّن أنّ هناك ديناً ارتضاه الله لعباده، ثم بيّن أنّ ذلك الدين هو الإسلام؛ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾(٣)، فإذا اعتقد الإنسان بهذا الدين المرضيّ عند الله تعالى يكون مرضيّاً عنده أيضاً. لسنا بصدد الدخول في بحث ما إذا كان الإسلام المرضيّ عند الله يتقوّم بالإمامة والولاية التي

(١) الأنبياء: ٢٨.

(٢) النور:٥٥.

(٣) المائدة: ٣.

قالت بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام كما هو صريح الآية المباركة حيث جعلت الدين المرضيّ بعد إكمال الدين وإتمام النعمة، لأنّه بحث كلامي موكول إلى غير هذه الدراسة.

أقسام الشفعاء

أشار القرآن الكريم إلى أهمّ الشفعاء في الآخرة، لكن لا بدّ من الالتفات إلى أنّ القرآن عادة لا يتعرض إلا إلى الخطوط العامة والكلية للموضوعات التي يتناولها، وأما الأمور التفصيلية فهي موكولة إلى بيانات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته عليهم السلام، وبحث الشفاعة هو من بين البحوث التي تطرّق لها القرآن الكريم وفق هذا المنهج حيث تناولها بصورة عامّة وأثبت أصل وجودها في الدنيا والآخرة، ثم جاءت الروايات الشريفة لتفصّل فيها وتذكر الأمور التفصيلية المرتبطة بمصاديقها والتي من أهمّها:

أ ـ الأنبياء

للأنبياء جميعاً شفاعة في الدنيا على ما سبق ذكره، ولهم شفاعة في الآخرة أيضاً، وهذا ما صرّح به الروايات الواردة عن الفريقين، وقد تقدمت الإشارة إلى جملة منها، وروى الشيخ الصدوق في (الخصال) بسنده إلى مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام، أنّه قال:

«قال رسول الله ﷺ: ثلاثة يشفعون إلى الله عز وجل، (فيشفعون): الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»[١].

وروى الشيخ الطوسي في (الامالي) بسنده إلى محمد بن إبراهيم بن كثير، قال: **دخلنا على أبي نؤاس الحسن بن هانئ نعوده في مرضه الذي مات فيه، فقال له عيسى بن موسى الهاشمي: يا أبا علي، أنت في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وبينك وبين الله هنات، فتب إلى الله عزّ وجلّ، قال أبو نؤاس: أسندوني، فلما استوى جالساً، قال: إياي تخوّف بالله، وقد حدثني حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي شفاعة، وإنّي خبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة»، أفترى لا أكون منهم.**[٢]

وأخرج أحمد في مسنده بسنده إلى أبي بكرة، عن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم)، قال: **«يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء انّ يشفعوا فيشفعون»**[٣].

رواه عنه الهيثمي في الزوائد وصحّحه، حيث قال عقبه: رواه

---

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، ص١٥٦؛ انظر: بحار الأنوار، ج ٨،ص ٣٤، كتاب العدل والمعاد، باب الشفاعة، الحديث ٢.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص٣٨٠؛ انظر: بحار الأنوار، ج ٨، ص ٤٠، الحديث ٢١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص٤٣، حديث أبي بكرة نفيع بن الحرث بن كلدة.

أحمد، رجاله رجال الصحيح.(١)

وأخرج النسائي في سننه بسنده إلى عطاء بن يزيد، قال: **كنت جالساً إلى أبي هريرة وأبي سعيد، فحدث أحدهما حديث الشفاعة والآخر منصت، قال: فتأتي الملائكة فتشفع وتشفع الرسل، وذكر الصراط، قال: قال رسول الله** (صلى الله عليه وسلم): «**فأكون أوّل من يجيز، فإذا فرغ الله عزّ وجلّ من القضاء بين خلقه وأخرج من النار من يريد أن يخرج أمر الله الملائكة والرسل أن تشفع**».(٢)

ب ـ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

وردت جملة من الروايات الصحيحة عن الفريقين التي كشفت عن بعض التفاصيل المتعلّقة بشفاعة النبيّ الأكرمﷺ في يوم القيامة، ففي حديث أبي جعفر عليه السلام: «**إنّ لرسول الله**ﷺ **شفاعة في أمته**»، وفي حديث جابر بن عبد الله الانصاري: «**أعطيتُ الشفاعة**»، وفي حديث أنس بن مالك: **تنتهي الشفاعة إلى النبي** (صلى الله عليه وسلم)، **فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود**، وفي حديث أُبي بن كعب: «**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم**»، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك، فلاحظ.

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج١٠، ص٣٥٩، باب ما جاء في الميزان والصراط الورود.

(٢) سنن النسائي ،ج ٢، ص ٢٢٩، باب موضع السجود.

وأخرج مسلم في صحيحه من طريق المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك، قال: **قال رسول الله** (صلى الله عليه وسلم): «**انا أوّل الناس يشفع في الجنة، وانا أكثر الأنبياء تبعا**»[١]، والاحاديث في شفاعة نبينا الكريم صلى الله عليه وآله مستفيضة.

ج ـ أهل البيت (عليهم السلام)

تضافرت الروايات الواردة في المقام لإثبات الشفاعة لأئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد روى البرقي في المحاسن بسنده إلى أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ * وَ لا صَدِيقٍ حَمِيم**﴾، قال: «﴿**الشافعون**﴾ **الأئمة، والـ** ﴿**صديق**﴾ **من المؤمنين**».[٢]

وروى في المحاسن أيضاً بسنده إلى معاوية بن وهب، قال: **سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى:** ﴿**لا يَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَقالَ صَواباً**﴾، **قال: «نحن والله المأذون لهم في ذلك اليوم والقائلون صواباً»، قلت: جعلت فداك، وما تقولون إذا كلمتم؟ قال: «نمجد ربنا، ونصلي على نبينا ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا»**.[٣]

وروى في المحاسن أيضاً بنفس السند، حيث قال: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله :** ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ ما بَيْنَ**

(١) صحيح مسلم، ج ١، ص ١٣٠.
(٢) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ج١، ص١٨٤.
(٣) المحاسن، البرقي، ج١، ص١٨٣؛ الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص٤٣٥، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

أَيْـدِيهِمْ وَ مـا خَلْفَهُـمْ﴾ ــ أي مـن هـم؟ ــ قـال: «نحـن أولئـك الشافعون»[١].

وروى في المحاسن أيضاً بسنده إلى أبي حمـزة، أنّـه قـال: قـال أبو جعفر عليه السلام: **«للنبـي صلى الله عليه وآله شـفاعة في أمتـه، ولنـا شـفاعة في شـيعتنا، ولشيعتنا شفاعة في أهل بيتهم»**.[٢] والروايـات كثـيرة ومستفيضـة من طرق الشيعة في شفاعة أهل البيت عليهم السلام.

ويمكن الاستدلال عليها بعموم أحاديـث شـفاعة المـؤمنين لإخوانهم باعتبار أنّ أئمة اهـل البيـت عليهم السلام مـن أظهـر مصـاديق مفهـوم المـؤمن، فقـد أخـرج البخـاري في صـحيحه بسـنده إلى عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال في شفاعة المؤمنين لإخـوانهم: **«يقولـون: ربنـا إخواننـا الـذين كـانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعـالى: اذهبـوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه»**[٣].

وأخرج الترمذي في سننه وحسّن سنده، من طريـق عبـد الله ابن شقيق، قال: **كنت مع رهط بإيلياء، فقال رجـل مـنهم: سـمعت رسول الله** (صلى الله عليه وسـلم) **يقول: «يدخل الجنة بشفاعة رجل مـن أمتي أكثر من بنى تميم»، قيل: يا رسول الله، سواك؟ قـال: «سـواي»**،

---

(١) المحاسن، ج١، ص ١٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

(٣) صحيح البخاري، ج ٨، ص١٨٢، كتاب التوحيد.

فلما قام، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي الجذعاء.[١]

وأخرج في سننه أيضاً وحسّن سنده، من طريق عطية، عن أبي سعيد، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «**إنّ من أمتي من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة**»[٢].

وأخرج أحمد في مسنده بسنده إلى أبي برزة بن قيس، قال: **سمعت رسول الله** (صلى الله عليه وسلم) **يقول:** «**إنّ من أمتي لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر، وإنّ من أمتي لمن يعظم للنار حتى يكون ركناً من أركانها**»[٣]، رواه عنه الهيثمي في الزوائد وصحّحه، حيث قال عقبه: **رواه ابن أحمد، ورجاله ثقات.**[٤]

شبهة حرمة طلب الشفاعة في الدنيا من الشفعاء

قد يُظنّ أنّ ما ورد في الأدعية من الاستشفاع بالنبيّ وآله المعصومين عليهم السلام، ومسألته تعالى بحقّهم وزيارة قبورهم وتقبيلها والتبرّك بتربتهم وتعظيم آثارهم، من الشرك المنهي عنه وهو الشرك الوثنيّ، محتجّاً بأنّ في هذا النوع من التوجّه العبادي إعطاء تأثير ربوبيّ لغيره تعالى وهو شرك، وأصحاب الأوثان إنّما

---

(١) سنن الترمذي، ج٤، ص٤٦، ح٢٥٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ح٢٥٥٦.

(٣) مسند أحمد بن حنبل، ج٤، ص٢١٢، حديث الحرث بن قيس.

(٤) مجمع الزوائد، ج١٠، ص٣٨١، باب شفاعة الصالحين.

أشركوا لقولهم في أوثانهم إنّ هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وقولهم إنّما نعبدهم ليقرّبونا إلى الله زلفى، ولا فرق في عبادة غير الله سبحانه بين أن يكون ذلك الغير نبيّاً أو وليّاً أو جبّاراً من الجبابرة أو غيرهم، فالجميع من الشرك المنهيّ عنه.

الردّ على الشبهة

إنّ الوجه في عدم جواز الاستشفاع بالشفاع بعد موتهم مايلي:

إمّا بمنع التأثير باعتبار أنّهم أموات لا يسمعون، أو باعتبار نفي التأثير مطلقاً، فليس لأي شيء تأثير في قبال الله تعالى سواء كان حيّاً أو ميتاً، وقد عاب تعالى من يدعو من لا يستجيب له. قال ابن تيمية: الله سبحانه قد عاب في كتابه من يدعو من لايستجيب له دعاءه، فقال تعالى: ﴿**ذلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾(١)، هذا مع أنّ الأصنام موجودة وكان يكون فيها أحيانا شياطين تتراءى لهم وتخاطبهم، ومن خاطب معدوماً كانت حالته أسوأ من حال من خاطب موجوداً وإن كان جماداً(٢).

---

(١) فاطر: ١٣و ١٤.

(٢) منهاج السنة، ج ١، صص ٤٦و ٤٧.

وإمّا بمنع عبادة غير الله تعالى باعتبار أنّ دعاء غيره تعالى مع اعتقاد التأثير هو نوع من العبادة، لذا فهو الشرك.

وإمّا بمنع طلب الحاجة من غير الله تعالى وأنّ ذلك حرام شرعاً.

وكلّ هذه الوجوه واضحة البطلان، وإليك بيان الوجه في بطلانها ضمن النقاط التالية مع مراعاة الاختصار:

١. الحياة البرزخية

إنّ ظاهر بعض الآيات الكريمة، وصريح الروايات المستفيضة، هو اثبات نوع من الإدراك والحياة للإنسان بعد رحيله عن هذه الدنيا ـ غير الحياة الأُخروية ـ وهو ما يصطلح عليه بالحياة البرزخية، وإليك بيان هذه الآيات الكريمة والأحاديث بشكل مختصر:

أ ـ قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ**﴾[١].

المراد بالحياة في الآية هو الحياة الحقيقية دون التقديرية، وقد عد الله سبحانه حياة الكافر بعد موته هلاكاً وبواراً في مواضع من كلامه، كقوله تعالى: ﴿**أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾[٢]، إلى غير

(١) البقرة: ١٥٤.

(٢) إبراهيم: ٢٨.

ذلك من الآيات.

فالحياة حياة السعادة، والأحياء بهذه الحياة هم المؤمنون خاصة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(١)، وانّما لم يعلموا لأنّ حواسهم مقصورة على إدراك خواص الحياة في المادة الدنيوية، وأمّا ما ورائها فإذا لم يدركوه لم يفرقوا بينه وبين الفناء فتوهموه فناءً، والوهم مشترك بين المؤمن والكافر في الدنيا، فلذلك قال في هذه الآية: ﴿بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾(٢) أي: بحواسكم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(٣)، أي باليقين كما قال تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾.(٤)

فمعنى الآية ـ والله أعلم ـ هو: ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات، ولا تعتقدوا فيهم الفناء والبطلان كما يفيده لفظ الموت عندكم ومقابلته مع الحياة، وكما يعين على هذا القول حواسكم، فليسوا بأموات بمعنى البطلان بل أحياء ولكن حواسكم لا تنال ذلك ولا تشعر به.

وإلقاء هذا القول على المؤمنين ـ مع أنّهم جميعاً أو أكثرهم عالمون ببقاء حياة الانسان بعد الموت، وعدم بطلان ذاته ـ انّما هو

---

(١) العنكبوت: ٦٤.

(٢) بقره:١٥٤.

(٣) عنكبوت: ٦٤.

(٤) التكاثر: ٦

لإيقاظهم وتنبيههم بما هو معلوم عندهم، ويرتفع بالالتفات إليه الحرج عن صدورهم، والاضطراب والقلق عن قلوبهم إذا أصابتهم مصيبة القتل، فإنّه لا يبقى مع ذلك من آثار القتل عند أولياء القتيل الا مفارقة في أيام قلائل في الدنيا وهو هين في قبال مرضاة الله سبحانه وما ناله القتيل من الحياة الطيبة، والنعمة المقيمة، ورضوان من الله أكبر، وهذا نظير خطاب النبي بمثل قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[١]، مع أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) أول الموقنين بآيات ربه، ولكنّه كلام كُنّي به عن وضوح المطلب، وظهوره بحيث لا يقبل أي خطور نفساني لخلافه.

فالآية تدل دلالة واضحة على حياة الانسان البرزخية، ولم يخالف السنة في ذلك لكنهم زعموا أنّها مخصوصة بشهداء بدر ولا تتعداهم إلى غيرهم، وسيأتي تنقيح قولهم وجوابه ضمن الآية الكريمة الآتية[٢].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّه أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّه وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّه لاَ يُضِيعُ أَجْرَ

(١) البقرة: ١٤٧

(٢) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ١، صص٣٤٥ ـ ٣٤٧.

الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

المراد بالحياة في الآية الحياة الحقيقية أيضاً دون التقديرية، والمراد بالموت بطلان الشعور والفعل؛ ولذا ذكرهما في قوله: **﴿بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ...﴾**، حيث ذكر الارتزاق وهو فعل، والفرح الاستبشار ومعهما شعور.

قوله تعالى: **﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ﴾**، الفرح ضد الحزن، والبشارة والبشرى ما يسرك من الخبر، والاستبشار طلب السرور بالبشرى، والمعنى أنّهم فرحون بما وجدوه من الفضل الإلهي الحاضر المشهود عندهم، ويطلبون السرور بما يأتيهم من البشرى بحسن حال من لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولاهم يحزنون.

ومن ذلك يظهر:

أولاً: هؤلاء المقتولون في سبيل الله تأتيهم وتتّصل بهم أخبار خيار المؤمنين الباقين بعدهم في الدنيا.

ثانياً: هذه البشرى هي ثواب أعمال المؤمنين، وهو أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وليس ذلك إلا بمشاهدتهم هذا الثواب في دارهم التي هم فيها مقيمون، فإنّما شأنهم المشاهدة دون الاستدلال.

---

(١) آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١.

ففي الآية دلالة على بقاء الانسان بعد الموت ما بينه وبين يوم القيامة كما تقدم في الآية الكريمة السابقة.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ﴾، هذا الاستبشار أعمّ من الاستبشار بحال غيرهم وبحال أنفسهم، والدليل عليه قوله: ﴿وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فإنه بإطلاقه شامل للجميع، ولعلّ هذا هو السبب في تكرار الاستبشار، وكذا تكرار الفضل.

وقد نُكّر الفضل والنعمة، وأُبهم الرزق في الآيات؛ ليذهب ذهن السامع فيها كل مذهب ممكن، ولذا أُبهم الخوف والحزن ليدل في سياق النفي على العموم.

والتدبر في الآيات يدلّ على أنّها في صدد بيان أجر المؤمنين أولاً، وأنّ هذا الأجر هو رزقهم عند الله سبحانه ثانياً، وأنّ هذا الرزق نعمة من الله وفضل ثالثاً، وأنّ الذي يشخص هذه النعمة والفضل هو أنّهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون رابعاً.(١)

ونزول هذه الآية الكريمة والآية التي سبقتها في شهداء بدر أو غيرهم لا يقتضي تخصيصهما بهم ـ كما زعم ذلك علماء السنة ـ وأنّ الآيتان خاصتان بهم فلا تتعداهم إلى غيرهم.

توضيح ذلك: إنّ مذهب جمهور محدثي السنة ومفسريهم هو أنّ أرواح الشهداء ـ شهداء بدر، أو أحد أو بئر معونة أو عامّة

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج٤، صص٦٠ و ٦١.

الشهداء ـ في أجواف طير خضر وأنّهم يرزقون في الجنة ويأكلون ويتنعمون[(١)].

واستدلوا على ذلك بالآيتين السابقتين، حيث رووا أنّهما نزلتا في هؤلاء الشهداء، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى أنس بن مالك، أنّه قال: **أنزل في الذين قتلوا ببئر معونة قرآن قرأناه ثم نسخ بعد، بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه.**[(٢)]

وأخرج في صحيحه أيضاً بسنده إلى جابر بن عبد الله، أنّه قال: **اصطبح ناس الخمر يوم أحد ثم قتلوا شهداء.**[(٣)]

وأخرج مسلم في صحيحه من طريق مسروق، أنّهم سألوا

---

(١) صحيح البخاري، ج٣، ص١٠٣٦، ح٢٦٥٩، باب ١٩ (فضل قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّه أَمْوَاتاً...﴾). صحيح مسلم، ج٣، ص١٥٠٢، ح١٨٨٧، باب ٣٣ (بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون)؛ سنن الترمذي، ج٥، ص٢٣٠، ح٣٠١٠، ص٢٣١، ح٣٠١١، باب٤ (ومن سورة آل عمران)؛ مصنف ابن أبي شيبة، ج٤، ص٢٠٤، ح١٩٣٣٢، ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه؛ مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٢٦٥، ح٢٣٨٨؛ مسند عبد الله بن عباس، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها. سنن ابن ماجة، ج١، ص٦٨، باب فيما انكرت الجهمية؛ صحيح ابن حبان، ج١٥، ص٤٩٠، ذكرالبيان بأن الله جل وعلا كلم عبد الله بن عمرو بن حرام بعد أن أحياه كفاحا؛ تفسير الثعلبي، ج٣، ص٢٠٣؛ زاد المسير، ابن الجوزي، ج٢، ص٥٦؛ تفسير ابن كثير، ج٤، ص٢٦٠.

(٢) صحيح البخاري، ج ٣، صص٢٠٧ و ٢٠٨، باب فضل قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّه أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء...﴾.

(٣) المصدر نفسه.

عبدالله بن مسعود عن قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء...﴾، قال: أمّا أنّا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطّلع إليهم ربّهم اطّلاعةً، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيءٍ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟! ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنّهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»[1].

وأخرج ابن أبي شيبة (ت/ ٢٣٥هـ) في مصنفه، وأحمد (ت/ ٢٤١هـ) في مسنده بسند حسّنه شعيب الأرنؤوط، بسندهما إلى ابن عباس، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لمّا أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله عزّ وجلّ أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظلّ العرش، فلمّا وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب» فقال الله عزّ وجلّ: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عزّ وجلّ هؤلاء الآيات على رسوله ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي

(١) صحيح مسلم، ج٣، ص١٥٠٢، ح١٨٨٧، باب ٣٣ بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنّهم أحياء عند ربهم يرزقون.

سَبِيلِ اللّه أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء﴾»[١].

وأخرج الترمذي، وابن ماجة، وابن حبان، بسند حسن، عن جابر بن عبد الله، من أنّ رسول الله ﷺ قد لقيه، فقال له: «يا جابر، ما لي أراك منكسراً؟»، قلت: يا رسول الله، استشهد أبي، قتل يوم أحد، وترك عيالاً وديناً، قال: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟»، قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «ما كلم الله أحداً قطُّ إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً، فقال: يا عبدي، تمن عليّ أعطك، قال: يا رب، تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الربّ عزّ وجلّ: إنّه قد سبق منّي أنهم إليها لا يرجعون»، قال: وأنزلت هذه الآية ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً﴾ الآية.[٢]

لكن نزول الآيتين في هؤلاء الشهداء لا يقتضي تخصيصهما بهم؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما قرّر ذلك ابن تيمية في مواضع متعددة من كتبه.

ثم ماذا يقصده هؤلاء بقولهم إنّها نزلت في شهداء بدر، فهي مخصوصة بهم فقط، لا تتعداهم إلى غيرهم؟

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج٤، ص٢٠٤، ح١٩٣٣٢، ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه. مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٢٦٥، ح٢٣٨٨، مسند عبدالله بن العباس الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.

(٢) سنن الترمذي، ج٥، ص٢٠٣، باب ٤ (ومن سورة آل عمران)؛ سنن ابن ماجة، ج١، ص٦٨، باب فيما انكرت الجهمية. صحيح ابن حبان، ج١٥، ص٤٩٠، ذكرالبيان بأن الله جل وعلا كلم عبد الله بن عمرو بن حرام بعد أن أحياه كفاحاً.

وعلى أيّ صفةٍ يتصورون حياة شهداء بـدر بعـد قـتلهم مـع قولهم بانعدام الانسـان بعـد المـوت والقتـل، وانحـلال تركيبـه وبطلانه؟

أهو على سبيل الإعجاز؟ بأن يكون الله تعـالى قـد اختصّـهم بكرامـة لم يكـرم بهـا النبـي الأكـرم وسـائر الأنبيـاء والمرسـلين والأولياء المقربين؛ فخصهم الله ببقاء وجودهم بعد الانعدام.

لكن ليس ذلك بإعجاز بل ايجاد محال ضروري الاسـتحالة، ولا إعجاز في محال، ولو جاز عند العقل إبطال هذا الحكـم عـلى بداهته لم يستقم حكم ضروري فما دونه.

أم هو على نحو الاستثناء في حكم الحسّ؟ بأن يكـون الحـس مخطئـاً في أمـر هـؤلاء الشـهداء، فهـم أحيـاء يرزقـون بالأكـل والشـرب وسائر التمتعات ـ وهم غائبون عن الحس ـ ومـا نالـه الحـس مـن أمـرهم بالقتـل وقطـع الأعضـاء وسـقوط الحـس وانحلال التركيب فقد أخطأ في ذلك من رأس.

لكن لو جاز على الحس أمثال هذه الأغلاط فيصيب في شيء ويغلط في آخر من غير مخصّصٍ، بطل الوثوق به على الاطلاق.

ولو كـان المخصّـص هـو الإرادة الإلهيـة احتـاج تعلقهـا إلى مخصّصٍ آخر، والاشكال ـ وهو عـدم الوثـوق بـالادراك ـ عـلى حاله، فكان من الجائز أن نجد ما لـيس بواقـع واقعـاً، والواقـع ليس بواقعٍ.

ومسلك هؤلاء في هذا القول هو أنّ الأمور الغائبة عن حواسنا مما يدل عليه الظواهر الدينية من الكتاب والسنة، كالملائكة وأرواح المؤمنين وسائر ما هو من هذا القبيل، موجودات مادية طبيعية وأجسام لطيفة تقبل الحلول والنفوذ في الأجسام الكثيفة، على صورة الانسان ونحوه، يفعل جميع الأفعال الانسانية مثلاً، ولها أمثال القوى التي لنا، غير أنّها ليست محكومة بأحكام الطبيعة من التغير والتبدل والتركيب وانحلاله، والحياة والموت الطبيعيين، فإذا شاء الله تعالى ظهورها ظهرت لحواسنا، وإذا لم يشأ أو شاء أن لا تظهر لم تظهر، مشيئة خالصة من غير مخصّص في ناحية الحواس، أو تلك الأشياء.

وهذا القول منهم مبني على إنكار العلية والمعلولية بين الأشياء، ولو صحّ ذلك لبطلت جميع الحقائق العقلية والأحكام العلمية فضلاً عن المعارف الدينية، ولم تصل النوبة إلى أجسامهم اللطيفة المكرمة التي لا تصل إليها يد التأثير والتأثر المادي الطبيعي.

فقد تبيّن بما مر أن الآيتين الكريمتين تدلان على الحياة البرزخية، وهي المسماة بعالم القبر، عالم متوسط بين الموت والقيامة، ينعم فيه الميت أو يعذب حتى تقوم القيامة، وهناك آيات كثيرة أُخرى تدل على هذه الحياة لكن لا مجال لذكرها هنا.

ويؤيد ذلك ـ أعني الحياة البرزخية ـ أحاديث عذاب القبر

وأنّ الميّت ينعم ويعذّب بقبره، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى البراء بن عازب، عن النبي الأكرمﷺ، قال: «**إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت**»[1].

وأخرج في صحيحه أيضاً بسنده إلى عائشة، **أنّها سألت رسول الله** (صلى الله عليه وسلم) **عن عذاب القبر، فقال: «نعم، عذاب القبر»، قالت عائشة** (رضي الله عنها): **فما رأيت رسول الله** (صلى الله عليه وسلم) **بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر.**[2]

وأخرج في صحيحه أيضاً بسنده إلى قتادة، عن أنس بن مالك، أنّه حدّثهم أنّ **رسول الله** (صلى الله عليه وسلم) **قال: «إنّ العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنّه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد** (صلى الله عليه وسلم)**؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنّه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً»، قال قتادة: وذكر لنا أنّه يفسح في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس، قال: «وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقوله الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح**

(١) صحيح البخاري، ج٢، ص١٠١، باب ما جاء في عذاب القبر...
(٢) المصدر نفسه، ص١٠٢.

صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»[١].

وأخرج في صحيحه أيضاً بسنده إلى أبي سعيد الخدري، قال: **قال رسول الله** (صلى الله عليه وسلم): **«إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين يذهبون بها، يسمع صوتها كلّ شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق»**[٢].

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من عدّة طرق وبعدّة ألفاظ، منها ما أخرجاه بسنديهما إلى أنس بن مالك، أنّ قتلى المشركين في معركة بدر جُعلوا في بئر، فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم، فقال (اللفظ لمسلم): **يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً فإني قد وجدت ما وعدني الله حقاً؟، قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنّهم لا يستطيعون أن يردوا عليّ شيئاً»**.[٣]

وعليه فقد اتّضح من خلال ما تقدّم أنّ مجرد رحيل الشفعاء عن هذه الدنيا لا يبطل الاستشفاع بهم، بمنع التأثير باعتبار أنّهم أموات لا يسمعون؛ إذ قد ثبت أنّ هناك حياة برزخيّة وأنّهم

---

(١)صحيح البخاري، ج٢، ص١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٣، باب كلام الميت على الجنازة.

(٣) صحيح مسلم، ج٨، ص١٦٣؛ صحيح البخاري، ج٥، ص٩.

يسمعون فيها، وأنّ المؤمنين ينعمون فيها كما أنّ الكافرين والعاصين يعذّبون فيها، فإذا كانت هذه الحياة نوع كمال وكرامة فالأنبياء والرسل والأولياء أولى بها.

٢. التأثير غير المستقل لمخلوقات الله تعالى

إنّ التأثير ـ سواء كان مادّياً أو غير مادّي ـ في غيره تعالى ضروريّ لا سبيل إلى إنكاره، وقد أسند تعالى في كلامه التأثير بجميع أنواعه إلى غيره، ومن أوضح مصاديق ذلك نسبة تدبير شؤون العالم الإمكاني للملائكة؛ قال تعالى: ﴿**وَالنَّازِعاتِ غَرْقاً * وَالنَّاشِطاتِ نَشْطاً * وَالسَّابِحاتِ سَبْحاً * فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً * فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً**﴾[1].

إنّ أظهر الصفات المذكورة في هذه الآيات الخمس في الانطباق على الملائكة قوله: ﴿**فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً**﴾، وقد أطلق التدبير ولم يقيّد بشيء دون شيء، فالمراد به التدبير العالمي بإطلاقه، فيكون مطلق التدبير شأن مطلق الملائكة، حيث جعلتهم وسائط بينه تعالى وبين الأشياء بدءًا وعوداً على ما يعطيه القرآن الكريم، بمعنى أنّهم أسبابٌ للحوادث فوق الأسباب المادّية في العالم المشهود قبل حلول الموت والانتقال إلى نشأة الآخرة وبعده.

أمّا في العود أعني حال ظهور آيات الموت وقبض الروح

---

(١) النازعات: ١ ـ ٥.

وإجراء السؤال وثواب القبر وعذابه وإماتة الكلّ بنفخ الصور وإحيائهم بذلك والحشر وإعطاء الكتاب ووضع الموازين والحساب والسوْق إلى الجنة والنار، فوساطتهم فيها غنيةٌ عن البيان، والآيات الدالّة على ذلك كثيرةٌ لا حاجة إلى إيرادها، والأخبار المأثورة عن النبيّ ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام فوق حدّ الإحصاء، وكذا وساطتهم في مرحلة التشريع من النزول بالوحي ودفع الشياطين عن المداخلة فيه وتسديد النبيّ وتأييد المؤمنين وتطهيرهم بالاستغفار.

وأما وساطتهم في تدبير الأمور في هذه النشأة فيدلّ عليها ما في مفتتح هذه السورة وما هو شبيهها كما في مفتتح سورة الصافات: ﴿**وَالصَّافَّاتِ صَفّاً * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً**﴾[(١)]، وكذلك آيات مفتتح سورة المرسلات: ﴿**وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً * عُذراً أَوْ نُذراً**﴾.[(٢)]

قال الرازي في بيان قوله تعالى: ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً**﴾: إنّ كلّ حال من أحوال العالم السفلي مفوّض إلى تدبير واحد من الملائكة الذين هم العالم العلوي وسكّان بقاع السموات.[(٣)]

(١) الصافّات: ١ ـ ٣.

(٢) المرسلات: ١ ـ ٦.

(٣) تفسير الرازي، ج ٣١، ص ٢٨.

نعم، المنفيّ من التأثير عن غيره تعالى هو الاستقلال في التأثير، ولا كلام لأحد فيه، وأما نفي مطلق التأثير، ففيه إنكار بديهة العقل والخروج عن الفطرة الإنسانية، لأنّه يستلزم إبطال قانون العلّية والمعلولية العام الذي هو الركن في جميع أدلّة التوحيد.

وعلى هذا فالاستشفاع بأهل الشفاعة الذين ذكرهم الله في مثل قوله تعالى: ﴿**وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةَ إلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[1]، أو السؤال من الله تعالى بجاههم والقسَم عليه بحقّهم الذي جعله لهم عليه بمثل قوله: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ**﴾[2]، أو تعظيمهم وإظهار حبهم بزيارة قبورهم وتقبيلها والتبرّك بتربتهم بما أنّهم آيات الله وشعائره تمسّكاً بمثل قوله تعالى: ﴿**ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[3]، وقوله: ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**﴾[4]، وغير ذلك من كتاب وسنّة، فإنه في جميع ذلك نبتغي بهم الوسيلة إلى الله، وقد قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ**

---

(١) الزخرف: ٨٦.

(٢) الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣.

(٣) الحج: ٣٢.

(٤) الشورى: ٢٣.

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[(١)]، بجعلهم ـ بما شرّع من حبّهم وتعزيرهم وتعظيمهم ـ وسائل إليه، ولا معنى لإيجاب حبّ شيء وتعظيمه وتحريم آثار ذلك، فلا مانع من التقرّب إلى الله بحبّهم وتعظيم أمرهم وما لذلك من الآثار إذا كان على وجه التوسّل والاستشفاع، من غير أن يعطوا استقلال التأثير والعبادة قط.

قال الآلوسي في تفسيره: أنا لا أرى بأساً في التوسّل إلى الله تعالى بجاه النبيّ (صلى الله عليه وسلم) عند الله تعالى حيّاً وميّتاً، ويُراد من الجاه معنىً يرجع إلى صفة من صفاته مثل أن يراد به المحبّة التامّة المستدعية عدم ردّه وقبول شفاعته، فيكون معنى قول القائل: (إلهي أتوسّل بجاه نبيّك (صلى الله عليه وسلم) أن تقضي لي حاجتي): إلهي اجعل محبّتك له وسيلة في قضاء حاجتي، ولا فرق بين هذا وقولك: (إلهي أتوسّل برحمتك أن تفعل كذا)، إذ معناه أيضاً: اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا، بل لا أرى بأساً أيضاً بالإقسام على الله تعالى بجاهه (صلى الله عليه وسلم)، ثم إنّ التوسّل بجاه غير النبيّ (صلى الله عليه وسلم) لا بأس به أيضاً إن كان المتوسّل بجاهه مما علم أنّ له جاهاً عند الله؛ كالمقطوع بصلاحه وولايته، وأمّا من لا قطع في حقّه بذلك فلا يتوسّل بجاهه؛ لما فيه من الحكم الضمنيّ على الله تعالى بما لا يعلم تحقّقه منه عزّ شأنه.[(٢)]

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) روح المعاني، الآلوسي، ج ٦، ص ١٨٧، المجلد الرابع.

ويؤيد ذلك ما أخرجه الترمذي وصحّح سنده، من طريق عثمان بن حنيف، قال: **إنّ رجلاً ضرير البصر أتى النبيّ** (صلى الله عليه وسلم) **فقال: ادعُ الله تعالى أن يعافيني، فقال: «إن شئتَ دعوت وإن شئتَ صبرت فهو خيرٌ لك»، قال: فادعُه، فأمره أن يتوضّأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إنّي أسألك وأتوجّه بنبيك** (صلى الله عليه وسلم) **نبيّ الرحمة، يا رسول الله إنّي توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفّعه فيّ».**[1]

فهناك فرق بين أن يعبد غير الله رجاء أن يشفع عند الله أو يقرّب إلى الله، وبين أن يعبد الله وحده مع الاستشفاع والتقرّب بهم إليه، ففي الصورة الأولى إعطاء الاستقلال وإخلاص العبادة لغيره تعالى وهو الشرك في العبودية، وفي الصورة الثانية يتمحّض الاستقلال لله تعالى وتختصّ العبادة به وحده لا شريك له.

وإنّما ذمّ الله تعالى المشركين؛ لقولهم: ﴿**ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلَى اللهِ زُلْفى**﴾ حيث أعطوهم الاستقلال وقصدوهم بالعبادة دون الله سبحانه، ولو قالوا: إنّما نعبد الله وحده ونرجو مع ذلك أن يشفع لنا ملائكته أو رسله وأولياؤه بإذنه، أو نتوسّل إلى الله بتعظيم شعائره وحبّ أوليائه لما كفروا بذلك، بل عادت شركاؤهم كمثل الكعبة في الإسلام هي وجهة وليست بمعبودة وإنّما يعبد الله بالتوجّه إليها.

---

(١) روح المعاني، ج ٦، ص ١٨٤.

فماذا يقول هؤلاء في الحجر الأسود وما شرع في الإسلام من استلامه وتقبيله وكذا في الكعبة؟! فهل ذلك كلّه من الشرك المستثنى من حكم الحرمة؟! فالحكم حكم ضروريّ عقليّ لا يقبل تخصيصاً ولا استثناءً.

أم ذلك من عبادة الله محضاً وللحجر حكم الطريق والجهة، وحينئذٍ فما الفرق بينه وبين غيره إذا لم يكن تعظيمه على وجه إعطاء الاستقلال وتمحيض العبادة، ومطلقات تعظيم شعائر الله وتعزير النبيّ صلى الله عليه وآله، وحبّه ومودّته وحبّ أهل بيته ومودّتهم وغير ذلك في محلّها.

وعليه فقد اتّضح أنّ إعطاء الاستقلال لأيّ شيءٍ في قبال الله واعتقاد أنّه يملك لنفسه أو غيره نفعاً أو ضراً أو موتاً أو حياة أو نشوراً إخراجٌ له عن كونه آية وإدخال له في حظيرة الألوهية، وهو شرك بالله العظيم.

٣. ليس مطلق الدعاء والخضوع عبادة

مما لا يرتاب فيه مسلم أنّ العبادة بمعنى التألّه ـ أي أن يكون المعبود إلهاً ـ تختصّ بالله سبحانه وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ﴾[1]، وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه لفظ العبادة حقيقة عند الإطلاق من دون قرينة،

---

(١) الرعد: ٣٦.

لكن ما هي حقيقة العبادة اصطلاحاً؟ هل هي مطلق الدعاء والخضوع وطلب الحاجة أم لا؟

إنّ لأئمة اللغة العربية تعاريف متقاربة للفظة العبادة، فهم يفسّرونها تارةً بالخضوع والتذلّل[١]، ولعلّ منه قوله تعالى: ﴿فَقالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا وَقَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ﴾[٢]، وأخرى بالطاعة[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٤].

بيد أنّ العبادة وإن فسّروها بالطاعة والخضوع والتذلّل أو إظهار نهاية التذلّل، لكن جميع هذه التحديدات ما هي إلا نوع من التعريف بالمعنى الأعم؛ لأنّ الطاعة والخضوع وإظهار التذلّل ليست على وجه الإطلاق عبادة، وإلا لزم أن يكون خضوع الولد لوالده والخادم لسيّده والمتعلّم لمعلّمه والجندي أمام قائده عبادة، ولم يقل به أحد من المسلمين.

والآيات القرآنية خير شاهد على أنّ غاية الخضوع والتذلّل فضلاً عن مطلق الخضوع ليست عبادة، فمن ذلك سجود الملائكة لآدمعليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وَإِذ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ

---

(١) لسان العرب، ج ٩، ص ١٠، مادة (عبد)؛ المفردات في غريب القرآن، ص٣١٩، مادة (عبد).

(٢) المؤمنون: ٤٧.

(٣) لسان العرب، ج ٩، ص ١٢.

(٤) يس: ٦٠.

اسْجُدُوا لآدَمَ﴾(١)، حيث دلّت الآية على أنّ آدم‏عليه السلام وقع مسجوداً للملائكة، ومن الواضح أنّ السجود من أعلا مظاهر الخضوع والتذلّل، ومع ذلك لم يُحسب سجودهم شركاً وعبادة لغير الله، وهذا خير دليل على أنّه ليس كلّ تعظيم أمام غير الله عبادة له.

وكذلك ما ورد في قوله تعالى: **﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا﴾**(٢)، ورؤياه التي تشير إليها الآية هي ما جاء في مطلع السورة: **﴿إِذ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ﴾**(٣)، وواضح من الآية أن مجرد السجود لأحد بما هو، مع قطع النظر عن الضمائم والدوافع، ليس عبادة.

ومن الشواهد الأُخرى على أنّ غاية الخضوع والتذلّل فضلاً عن مطلق الخضوع ليست عبادة، هي أنّ جميع المسلمين يطوفون في مناسك الحج بالبيت الذي لا يكون إلا حجراً وطيناً ويسعون بين الصفا والمروة، وقد أمر القرآن الكريم بذلك حيث قال تعالى: **﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾**(٤)، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ**

---

(١) البقرة: ٣٤.

(٢) يوسف: ١٠٠.

(٣) يوسف: ٤.

(٤) الحج: ٢٩.

يَطَّوَّفَ بِهِما﴾[١]، فهل يكون الطواف بـالتراب والحجـر والجبـل عبادة لها؟! ولو كان مطلق الخضوع عبـادة لـزم أن تكـون جميـع هذه الأعمال ضرباً من الشرك المجاز المسموح به، تعـالى الله عـن ذلك علوّاً كبيراً.

والحاصل أن مجموع هذه الشواهد القرآنية ـ وغيرهـا كثـير ـ تدلّ على أنّ مطلق الخضوع والتذلّل أو التكريم والاحترام لـيس عبادة، وإذا ما رأينا أئمـة اللغـة فـسّروا العبـادة بأنّهـا الخضـوع والتذلل فهو من التفسير بالمعنى الأوسع[٢].

ويمكن تمييز مصاديق العبادة عن مصاديق التعظيم والتكـريم بيسر وسهولة، فتقبيل العاشق دار معشوقته أو تـراب قبرهـا بعـد موتها لا يوصـف بالعبـادة، كـما أنّ ذهـاب النـاس إلى زيـارة مـن يعنيهم من الشخصيات والوفود إلى مقـابرهم أو الوقـوف أمامهـا احتراماً لا يعدّ عبادة وإن بلغ من الخضوع ما بلغ، ولكن مع ذلك فإنّنـا بحاجـة إلى بيـان ضـابطة كليـة لتمييـز مصـاديق العبـادة المصطلحة عن غيرها حيث لا يسع المجال هنا لذكرها.

٤.طلب الحاجة من غير الله تعالى

استدلّ القائلون بعدم جـواز طلـب الشـفاعة مـن الشـفعاء بكون ذلك دعاءً لغير الله تعالى، وهو حرام شرعاً؛ لقولـه تعـالى:

---

(١) البقرة: ١٥٨.

(٢) منهج الرشاد، الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء، ص ٢٤، طبع في ١٣٤٣هـ.

﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾[١]، وغير ذلك من الآيات الكريمة التي نهت عن دعوة غير الله سبحانه، وإذا كانت الشفاعة ثابتة لأوليائه وعباده المقرّبين وكان طلب الحاجة من غيره حراماً، فالجمع بين أمرين يتحقّق بانحصار جواز طلبها من الله سبحانه خاصّة[٢].

والخطأ الذي وقع فيه أصحاب هذه الرؤية الفكرية هو تصوّرهم أنّ الدعاء والعبادة مترادفان ومشتركان في مضمونهما، إلا أنّه لا يمكن قبول ذلك؛ لأنّ لفظ الدعاء في اللغة يعني النداء لطلب الحاجة، فلا يتحقّق مفهوم الدعوة إلا بطلب الحاجة، ولو استعملت في موردٍ ما في مطلق النداء ولم يكن معه طلب حاجة فإنّما هو لأجل أنّ المنادي يطلب توجّه المنادى إلى نفسه[٣].

بينما تعني العبادة معنىً آخر وهو الخضوع النابع من الاعتقاد بالألوهية والربوبيّة على ما مرّ بيانه.

وهناك شواهد قرآنية كثيرة استعمل فيها لفظ الدعوة والدعاء لا يمكن أن يكون المراد فيها العبادة، كقوله تعالى: ﴿قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهاراً﴾[٤]، وقوله تعالى حاكياً عن الشيطان: ﴿وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطان إلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ

---

(١) الجن: ١٨.

(٢) كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب، ص٩.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ص ١٦٩، مادة (دعا).

(٤) نوح: ٥.

﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[١]، فهل يحتمل أن يكون المراد من الدعاء فيهما العبادة؟

نعم، النسبة بينهما هي العموم والخصوص من وجه، فقد تصدق العبادة ولا يصدق الدعاء كما في العبادة الفعلية المجرّدة عن الذكر، كالركوع والسجود؛ لأنّها تقترن مع الاعتقاد بألوهية المسجود له، ولا يصدق الدعاء لخلوّه عن الذكر اللفظي، وقد يصدق الدعاء ولا تصدق العبادة، كما لو دعا أحد ولياً أو نبياً أو رجلاً صالحاً من غير اعتقاد بألوهيته وربوبيّته ونحوهما، وقد يصدق كلا الأمرين معاً كما في أذكار الصلاة؛ لأنّها دعوة بالقول ناشئة من الاعتقاد بألوهية المدعوّ.

إذا اتّضحت هذه المقدّمة فيمكن تقرير الجواب عن الشبهة ضمن الوجهين التاليين:

١ـ المقصود من الدعاء في مجموع الآيات التي استدل بها أصحاب هذه الشبهة ليس هو مطلق النداء، بل نداء خاصّ يمكن أن يكون ـ مآلاً ـ مرادفاً للفظ العبادة، لأنّ مجموع هذه الآيات وردت حول الوثنيّين الذين كانوا يعتقدون بأنّ أصنامهم آلهة صغار قد فوّض إليها بعض شؤون المقام الألوهي ويفترضون في شأنها نوعاً من الاستقلال في التصرّف والفعل؛ كقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ

---

(١) إبراهيم: ٢٢.

لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ﴾[3]، وغير ذلك من الآيات الكريمة.

ومعلوم أنّ الخضوع والتذلّل أو أيّ نوع من القول والعمل أمام مخلوق باعتقاد أنّه إله كبير أو إله صغير لكونه ربّاً ومالكاً لبعض الشؤون الإلهية، يكون عبادة، ولا شكّ في أنّ خضوع الوثنيّين ودعاءهم واستغاثتهم أمام أوثانهم كانت بوصف أنّ هذه الأصنام آلهة أو أرباباً أو مالكة لحق الشفاعة وباعتقاد أنّها آلهة مستقلّة في التصرّف، ومن البديهي أنّ أيّة دعوة لهذه الموجودات وغيرها بمثل هذا الاعتقاد يعدّ عبادة لا محالة.

وقد دلّت طائفة من الآيات على أنّ دعوة الوثنيّين كانت مصحوبة بالاعتقاد بألوهية الأصنام أو مالكيتها لمقام الشفاعة والمغفرة؛ قال تعالى: ﴿وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[4]، حيث دلّت بأنهم كانوا يعبدونها متصوّرين ومعتقدين بأنّها تغنيهم من شيء كما يمكن للإله الحقيقي أن يفعل ذلك.

---

(١) الرعد: ١٤.

(٢) الأعراف: ١٩٧.

(٣) الأعراف: ١٩٤.

(٤) هود: ١٠١.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً * أولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخافُونَ عَذابَهُ إنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً﴾[1]، فالآية الكريمة تحتجّ على نفي ألوهية آلهتهم من دون الله بأنّ الربّ المستحقّ للعبادة يجب أن يكون قادراً على إيصال النفع ودفع الضرّ إذ هو لازم ربوبيّة الربّ، على أنّ المشركين متأكدون من ذلك، وإنما اتّخذوا الآلهة وعبدوهم طمعاً في نفعهم وخوفاً من ضررهم، لكن الذين يدعونهم من دون الله لا يستطيعون ذلك فليسوا بآلهة. وكيف يملكون من عند أنفسهم كشف ضرّ أو تحويله ويستقلّون بقضاء حاجة ورفع فاقة وهم في أنفسهم مخلوقون لله يبتغون إليه الوسيلة، يرجون رحمته ويخافون عذابه باعترافٍ من المشركين[2].

وبهذا يتّضح الفرق بين التوسّل الممدوح ـ الذي هو كالوسيلة للتوصّل والتقرّب، وربما استعملت بمعنى ما به التوصّل والتقرّب ـ بل المأمور به كما في قوله تعالى: ﴿ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَابْتَغُوا إلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[3]، وبين التوسّل والتقرّب المذموم المنهي عنه كما في قوله تعالى: ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلَى

(١) الإسراء: ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ١٢٧.

(٣) المائدة: ٣٥.

اللّهِ زُلْفى﴾[١].

فالأول ممدوح لأجل أن المدعوّ عبد من عباد الله المكرمين وأنّه ذو مقام معنويّ استحقّ به منزلة النبوة أو الإمامة، ولأنّه وُعد المتوسّلون به بقبول أدعيتهم وإنجاح طلباتهم فيما إذا قصدوا الله عن طريقه، كما ورد في حقّ النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[٢].

بخلاف الثاني فإنهم كانوا يتوسّلون إلى الله ويتقرّبون بالملائكة الكرام والجنّ والأولياء من الإنس فيتركون عبادته تعالى ولا يرجونه ولا يخافونه، وإنّما يعبدون الوسيلة ويرجون رحمته ويخافون سخطه، ثم يتوسّلون إلى هؤلاء الأرباب والآلهة بالأصنام والتماثيل فيتركونهم ويعبدون الأصنام ويتقرّبون إليهم بالقرابين والذبائح، وبالجملة فهم لا يعبدون إلا الوسيلة مستقلّة بذلك ويرجونها ويخافونها مستقلّة بذلك من دون الله فيشركون بإعطاء الاستقلال لها في الربوبيّة والعبادة.

٢ ـ المراد من الدعاء في تلك الآيات الكريمة الناهية هو القسم الخاصّ منه، أعني ما كان ملازماً للعبادة، لا بمعنى أنّ الدعاء مستعمل في مفهوم العبادة ابتداءً، بل بمعنى أنّها مستعملة

---

(١) الزمر: ٣.

(٢) النساء: ٦٤.

في معناها الحقيقي غير أنّها لما كانت في موارد الآيات مقرونة باعتقاد الدعاة بألوهيتهم يكون المنهيّ عنه ذلك القسم من الدعوة لا مطلقاً، وتكون عقيدة الدعاة في عقيدة المدعوين قرينة متصلة على أنّ المقصود ذلك القسم المعيّن لا جميع أقسامها، ومن المعلوم أنّ الدعاء مع هذه العقيدة يكون مصداقاً للعبادة.

والدليل على أنّ المراد من الدعوة والدعاء في هذه الآيات هو القسم الملازم للعبادة، أنه ربما وردت في إحدى الآيتين ذاتيْ مضمون واحد لفظة الدعوة ووردت في الآية الأخرى لفظة الدعاء مثل قوله: ﴿**قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً**﴾[١]، بينما يقول تعالى في الآية الأخرى وهي: ﴿**قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّنا**﴾[٢]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ**﴾[٣]، والقطمير هو الأثر على رأس النواة وذلك مثل للشيء الطفيف[٤]، ونظير ما سبق قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً**﴾[٥].

---

(١) المائدة: ٧٦.

(٢) الأنعام:٧١.

(٣) فاطر: ١٣.

(٤) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٤٠٨، كتاب القاف وما يتصل بها.

(٥) العنكبوت: ١٧.

وقد وردت كلتا اللفظتين في آية واحدة، واستعملتا في معنى واحد، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾[٢]، والآية الكريمة وما تقدّمها ظاهرتان في أنّ المراد من الدعوة العبادة لا مطلق النداء وطلب الحاجة[٣].

ويؤيد ذلك ما ورد في دعاء سيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام حيث قال: «وقلتَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ **فسمّيت دعاءك عبادة وتركه استكباراً وتوعّدت على تركه دخول جهنّم داخرين**»[٤].

فتلخّص إلى هنا أنّ قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾ لا يراد به مطلق الدعاء قطعاً بل دعاءً خاصّاً وهو الدعاء المساوي لدعاء الله تعالى باعتقاد أنّ المدعوّ قادر مختار مساوٍ لله تعالى في ذلك، كما كانت اليهود والنصارى تفعل ذلك في بِيعها وكنائسها، أو دعاء من نهى الله تعالى عن دعائه من الأصنام والأوثان التي هي أحجار وأشجار لا تعقل ولا تسمع ولا تضرّ

(١) الأنعام: ٥٦.

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) معالم التوحيد، ص ٥١٤.

(٤) الصحيفة السجادية الكاملة، صص٢٢٤ و٢٢٥، تحقيق: عبد الرحيم أفشاري زنجاني.

ولا تنفع ولا تسأل ولا تشفع كما كان يفعله المشركون في الكعبة، أو دعاء الملائكة والجنّ الذين كانوا يعبدونهم ويعتقدون أنّ لهم تأثيراً في الكون مع الله بأنفسهم أو يشفعون عنده اضطراراً بحيث لا يرد شفاعتهم أو نحو ذلك مما لم يجعله الله لهم.

وعليه، فدعاء النبيّ أو الوليّ أو الاستغاثة بهما، لا يدخل في الدعاء المنهيّ عنه في تلك الآيات الكريمة، لأنّ هذا الدعاء والاستغاثة لا يخرج عن طلبه منه أن يدعو الله تعالى له أو يشفع له عنده، الذي هو في معنى الدعاء، فمن طلب ذلك مع اعتقاد أنّ الأمر فيه لله تعالى إن شاء أجاب دعاءه وقبل شفاعته وإن شاء ردّ، لا يدخل في النهي قطعاً، بعدما عرفت أنّ المنهي عنه ليس مطلق الدعاء، بل دعاء مخصوص، مع أنّ طلب الدعاء والشفاعة ممن جعل الله تعالى له ذلك لا يخرج عن دعاء الله تعالى وعبادته وتعظيم شأنه والتوسّل إليه بأنواع الوسائل، وفي ذلك مبالغة في التضرّع إليه والطلب منه الذي علم أنّه يحبّه ويرضاه وأنّه مخّ العبادة له.

والمعيّة في قوله ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَداً﴾ ظاهرة في المساواة، وذلك بجعله في رتبته سبحانه، ومن يدعو النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله ليدعو الله له ويشفع إليه في حاجته لم يدعه مع الله تعالى ولم يساوه به، بل في الحقيقة دعا الله تعالى الذي أمر بطلب

من الغير وجعل له الشفاعة.

وبعبارة أوضح: معنى ﴿مَعَ اللّهِ﴾ أن يكون دعاؤه في عرض دعاء الله تعالى لا في طوله، والأصنام لو فرض أنّ دعاءها ليس كذلك فالله تعالى نهى عن دعائها بكلّ حالة لأنّها جماد، ولأنّ دعاءها خلاف على الله تعالى وتكذيب للرسل، وباقي المعبودات كعيسى والملائكة والجنّ هو مثل دعاء الله تعالى قطعاً، فعيسى عليه السلام اتّخذ شريكاً في الربوبيّة، والملائكة والجنّ اعتُقد أنّ لهم قدرةً وتأثيراً مع الله كما مرّ[1].

نتائج البحث

١ ـ استعمل القرآن الكريم والسنة النبوية الشفاعة في مورد التشريع، وأُريد بها دفع أو رفع تبعات العقاب الذي يستحقّه من ارتكب ما نُهي عنه أو امتنع عمّا أمر به، أو زيادة درجات الثواب لمن أدّى ما عليه وأطاع ما أُمر به، وهناك أدلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية على هذا النوع من الشفاعة تقدمت الإشارة إلى جملة منها.

٢ ـ وقع الاختلاف بين أعلام المسلمين في أثر الشفاعة التشريعية، وهناك ثلاثة اقوال في المسألة، الأول: إنّ أثرها هو دفع العقاب لا رفعه، والثاني: هو إنّ أثرها هو دفع العقاب

(١) كشف الارتياب، السيد محسن الأمين العاملي، ص٢٨٣.

ورفعه، والثالث هو إنّ أثرها هو زيادة الثواب لا إسقاطه.

٤ ـ أشار القرآن الكريم والسنة الصحيحة إلى أهمّ الشفعاء في الآخرة، وهم: الأنبياء والنبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله وأهل البيتعليهم السلام والمؤمنون.

٥ ـ قد يُظنّ أنّ ما ورد في الأدعية من الاستشفاع بالنبيّ وآله المعصومينعليهم السلام، ومسألته تعالى بحقّهم وزيارة قبورهم وتقبيلها والتبرّك بتربتهم وتعظيم آثارهم، من الشرك المنهي عنه وهو الشرك الوثنيّ، احتجاجاً بأنّ في هذا النوع من التوجّه العبادي إعطاء تأثير ربوبيّ لغيره تعالى وهو شرك.

لكن هذا غير صحيح، وقد تقدم بيان الوجه في بطلانه فلاحظ.

المصادر

١. الأمالي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة، ط١، سنة الطبع : ١٤١٤، الناشر: دار الثقافة ـ قم.

٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣هـ ، الناشر: مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

٣. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تحقيق و تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، سنة الطبع : ١٤٠٤هـ ، الناشر: الأعلمي ـ طهران

٤. تعليقات الميرزا أبو الحسن الشعراني على شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني المطبوع بهامشه، ضبط وتصحيح : السيد علي عاشور، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤٢١هـ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

٥. تفسير القران العظيم، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، سنة الطبع : ١٤١٢هـ ، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

٦. تفسير الثعلبي، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤٢٢هـ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٧. تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، تعليق وتصحيح سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربي.

٨. التوحيد، بحوث في مراتبه ومعطياته: السيد كمال الحيدري، تقرير جواد علي كسار، دار الأضواء ـ بيروت.

٩. الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكوّنات وغرائب الآيات الباهرات، الشيخ طنطاوي جوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٩١م.

١٠. الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، سنة الطبع : ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣هـ ، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ـ قم.

١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، إشراف هيئة البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، قرأه وصحّحه: محمد حسين العرب.

١٢. زاد المسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، الطبعة الأولى، سنة الطبع: جمادى الأولى ١٤٠٧هـ ، الناشر : دار الفكر ـ بيروت.
١٣. زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار النشر: الإدارة العامة للطبع والترجمة ـ الرياض، ١٤١٠هـ ، ط١.
١٤. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار النشر: دار الفكر ـ بيروت.
١٥. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار النشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
١٦. المجتبى من السنن (سنن النسائي)، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ١٤٠٦هـ ، ط٢، تحقيق عبدالفتاح أبي غدة، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب.
١٧. شرح تجريد الاعتقاد لنصير الملة والدين محمد بن محمد الطوسي، علاء الدين علي بن محمد القوشجي، الطبعة الحجرية.
١٨. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ١٣٩٢هـ ، ط٢، دار النشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
١٩. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ١٤١٤هـ ، ط٢، تحقيق شعيب

الأرنؤوط، دار النشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
٢٠. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ١٤٠٧هـ ، ط٣، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار النشر: دار ابن كثير , اليمامة ـ بيروت.
٢١. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٢٢. الصحيفة السجادية الكاملة، تحقيق عبد الرحيم أفشاري زنجاني، سنة الطبع : ١٤٠٤هـ ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم.
٢٣. قرب الاسناد، أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤١٣، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.
٢٤. الكافي، ثقة الاسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، تحقيق علي أكبر الغفاري، الطبعة : الخامسة، سنة الطبع : ١٣٦٣ ش، الناشر : دار الكتب الإسلامية ـ طهران.
٢٥. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٢٦. كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب، السيد محسن الأمين العاملي، تحقيق حسن الأمين، ط٢، ١٣٨٢ هـ ، الناشر: مكتبة الحرمين ـ قم.
٢٧. كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب، دار النشر: مطابع

الرياض ـ الرياض، ط١ ، تحقيق ناصر بن عبد الله الطريم ، سعود بن محمد البشر ، عبد الكريم اللاحم.
٢٨. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلّي، صحّحه وقدّم له وعلّق عليه العلامة حسن حسن زادة الآملي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران.
٢٩. لسان العرب، العلاّمة ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات دار مكتبة الحياة.
٣١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر: دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي ـ القاهرة , بيروت، ١٤٠٧.
٣٢. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، سنة الطبع: ١٣٧٠هـ ، الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.
٣٣. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١١هـ ، ط١ ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
٣٤. المسند، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، أحمد بن حنبل أبوعبد الله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة ـ مصر.
٣٥. المصنف في الأحاديث والآثار، الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، دار النشر: مكتبة الرشد ـ الرياض، ١٤٠٩هـ، ط١ ، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
٣٦. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم

الطبراني، دار النشر: دار الحرمين ـ القاهرة، ١٤١٥هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.
٣٧. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر: مكتبة الزهراء ـ الموصل، ١٤٠٤هـ، ط٢، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
٣٨. مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، فخر الدين الرازي الشافعي، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
٣٩. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت.
٤٠. من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق،
٤١. منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ، ط١، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
٤٢. منهج الرشاد، الشيخ العلامة جعفر كاشف الغطاء
٤٣. الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، لناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ـ قم.
٤٤. نهاية الحكمة، العلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي.
٤٥. نهج البلاغة، خطب أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، ط١، ١٤١٢هـ، الناشر: دار الذخائر ـ قم.

الفهرس

كلمة المعهد ٥

أهمية البحث وضرورته ٩

فوائد البحث وآثاره ١٠

الشفاعة في اللغة والاصطلاح ١٠

تحرير محل النزاع ١٢

أدلّة الشفاعة التشريعية ١٣

أ ـ القرآن الكريم ١٣

شبهة تعارض الآيات الدالة على الشفاعة التشريعية ١٦

الردّ على الشبهة ١٦

ب ـ الروايات ٢٠

الروايات الشيعية ٢٠

الروايات السنية ٢٢

حقيقة فعل الشفيع ٢٧

أثر الشفاعة ٣٠

١ ـ دفع العقاب لا رفعه ٣١

٢ ـ دفع العقاب ورفعه ٣٣
٣ ـ زيادة الثواب لا اسقاط العقاب ٣٧
شرائط الشفاعة ٤٢
أقسام الشفعاء ٤٤
أ ـ الأنبياء ٤٤
ب ـ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ٤٦
ج ـ أهل البيت (عليهم السلام) ٤٧
شبهة حرمة طلب الشفاعة في الدنيا من الشفعاء ٤٩
الردّ على الشبهة ٥٠
١ ـ الحياة البرزخية ٥١
٢ ـ التأثير غير المستقل لمخلوقات الله تعالى ٦٣
٣ ـ ليس مطلق الدعاء والخضوع عبادة ٦٨
٤ ـ طلب الحاجة من غير الله تعالى ٧١
نتائج البحث ٨٠
المصادر ٨٣